مجموعة قصصية

« سوليفان »

اسم الكتاب : سوليفان «قصص قصيرة»
تأليف : عمر كمال الدين
تصميم الغلاف : Zero one Pictures
رقم الإيداع : ٢٥٥٢٦ / ٢٠١٧

ZERO ONE PICTURES
Production solutions that make sense.

زيزيرو وان بيكتشيرز للتوزيع - شارع أحمد فخري - مدينة نصر - القاهرة
تليفون : 01285829109 -01090288777

«زيرو وان» للنشر و التوزيع

E.mail: Zeroonepictures@outlook.com
Zeronepictures.com
website: www.zeronepictures.com

© جميعُ الحقوق محفوظة، وأى اقتباس أو إعادة طبع أو نشر فى أى صورة كانت ورقية أو الكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابى من الناشر؛ يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

«سوليفان»

للمؤلف

عمر كمال الدين

إهداء

.... الى كل من يعشق الخيال، و يلوذ به من الحياة و بشاعتها، ضجيجها و قسوتها..

الى من يخلقون عالمهم الخاص للهروب من ذلك العالم البغيض..

اليهم أهدي جزءًا بسيطًا من عالمي الذي أحيا به منذ سنوات و على أرضه سوف أمكث حتى أفنى..

"عمر كمال الدين"

"سوليفان"

2 يناير 2011

الساعة الثانية بعد منتصف الليل

العمر : بضع ساعات

أهلًا بك في عالمي..

أهلًا بمن أحال أشواكي و جحيمي الى فراشاتٍ و ورود..

بمن لون أيامي و أضاء في عينيّ الظلمات..

بمن ملأ الصمت بأصوات الكناري و شدو العندليب..

اليوم هو أول أيام اعتناقي الحب على يديك..

و بعد أن حاربت ذلك الإحساس سنينًا طويلة ..تسرب الى رُغمًا عني ..و بغير إرادةٍ مني ..

انتشر في جميع أنحائي و تغلغل كالترياق في عروقي ..

و الآن بعد أن عرفتك ..أعترف أني ارتددت عن الحادي..و اني حطمت أصنام معتقداتي..

قد صرت راهبةً في محراب الحب لأجلك..

تبددت قناعاتي الزائفة ..و انهارت أسواري التي شيدتها أعوامًا حول قلاع كُفري بذلك الحب.. وصار قلبي رسولًا له..

أتعرف..

لم تكن أبدًا كجيوش التتار حينما غارت على بغداد و اقتحمتها..

لم تكن أبدًا كطروادة فتتسلل من دون إذني لأعماق قلبي..

بل فتحت لك حصوني المنيعة بإرادتي التامة، استقبلتك كما يُستقبل الأبطال، بالأعلام المرفرفة، قرع الطبول، و زغاريد النساء الفرحة..

فأهلًا بك الى عالمي..يا أروع محتلٍ في الدنيا...

2 يناير 2011

الثالثة عصرًا

العمر : يوم واحد

لا أعرف كيف لكائن على قدر وهنك و براءتك أن يحتلني ذلك الإحتلال، من دون مقاومة..

من دون حتي أن تفتح شفتيك، أن تتحدث، تأسرني !

بنظرة عينيك الحائرة، بابتسامتك الطبيعية فوق الحد، العذبة حد الكمال، بتعبيرات وجهك و ملامحك التي لم تتلوث بعد بقبح العالم من حولك.. لا أعرف كيف بتوافه الأمور و أبسطها تحيل الحزن القائم حولي الى مدينة للملاهي..

تنصُب سيركًا داخل صدري و تجعل قلبي كل الجمهور.. تصير الساحر تارة، و تصير مُهرجًا تارة أخرى و إن إحتاج الأمر لألعاب الخفة فأنت كذلك تفعلها..

و يصفق كل الجمهور تحت مسمى "قلبي"، و يصفق !

و تتزايد صيحات الإعجاب في جنبات المكان ..فقط لأجلك أنت... فيا أعظم سيرك و أجمل مدينة ملاهي، شكرًا لك..

3 يناير 2011

الرابعة فجرًا

العمر: يومان

أبحث عن كلمات تصف ما أنت عليه، فلا أجد كلمات تليق بك، ولا أي حروف تتناسب و ما أنت عليه..

أشاهد عشرات الأفلام لأبحث عن إحساس بها كالذي يعتمل في قلبي فلا أنجح..

أستمع لمئات أغاني الحب و أهازيج العشق لأجد فيها شيئًا من ذلك الشوق داخلي فلا أصل لشيء أبدًا..

ما أنت عليه و ما بداخلي إليك يرقيان إلى أعلى درجات السمو الذي لم يعهده مخلوق من قبل..

بمجيئك إلى حياتي أدخلتني في عالم سحرى، و لونت بقوس قزح متاهاتي..

فيا أروع رسام شكل أيامي..شكرًا لك..

4 يناير 2011

العاشرة صباحًا

العمر : ثلاثة أيام

أتذكر ذلك اليوم، يوم وصولك..

أتذكرهم حولي، الكل قلِق، يروحون جيئة و ذِهابًا، ينتظرون في خوف، بنظرات تائهة و عيون زائغة..

و أنا وحدي من ينتظر في شغف و حبور و اطمئنان، رغم ما كنت مقبلةَ عليه من مصاعب و آلام..

و الآن و قد وصلت آمنا، بين يديّ، بعد كل تلك الأشهر و تلك المعاناه، و أنا أنتظر يومًا بعد يوم، شهرًا تلو الآخر..

خفقان قلبي و دقاته المتسارعة..

اضطراب مشاعري الوليدة الخارجة لتوها من السوليفان فرحةً بقدومك..

أحاسيس قلبي الطازجة التي لم أتذوقها من قبل..

بمجيئك جعلتني أمشي فوق السحاب، و أطأ بقدميّ الجنة..

بمجيئك..

قدمت لي أروع هديةٍ على الإطلاق..حينما جعلتني ..أصير لك أمًا..

تمت في 25 يونيو 2014

"ماريونت"

في داخل ذلك المسرح الكبير، في القاعة الرئيسية، في الظلام الداكن يجلس جمهور حاشد، ما بين الأنفاس المأخوذة، و الأبصار المشدوهة ناحية خشبة المسرح التي يتراقص عليها جسدان لشاب و فتاة، في براعة منقطعة النظير، تجعل ذلك الجمهور تشتعل أياديه تصفيقًا بين الحين و الآخر. يدور الراقصان كل منهما حول الآخر في تناغم و انسجام، على أنغام البيانو المتسارعة في دقة، لا تفتأ أقدامهما تلمس الأرض حتي ترتفع ثانية في الهواء، يرتديان ملابسًا بيضاء حريرية فيبدوان فيها كملائكة قد هبطت لتوها من السماء، يلفهما السواد من حولهما ليعكس بشدة ذلك التباين بين اللونين، على وجههما تلك الملامح الباهتة و التعابير الفارغة، و كأنهما منومان مغناطيسيًا.

انتهت رقصتهما فانحنيا تحية للجمهور الذي انفجر تصفيقًا و هتافًا لهما.

شيئًا فشيئًا هدأت عاصفة التصفيق و الصفير و الهتاف، ليضيء المسرح شيئًا شيئًا، ويبدأ ذلك الظلام في الإختفاء تدريجيًا، و تتضح ملامح المسرح و ما عليه أكثر فأكثر، و تظهر تلك الخيوط الحريرية التي تمسك بأيادي و أقدام و رؤوس الراقصين، متجهة لأعلى حيث اليدين

الكبيرتين اللتين تمسكان بخيوطهما.

خرج ذلك العملاق من العدم، مرتديًا ملابسًا سوداء كخلفية خشبة المسرح، أزال قناعًا أسودًا كان يرتديه و بدأ هو الآخر في تحية الجمهورلتشتعل عاصفة التصفيق من جديد، مصحوبة بالورود المتراشقة عليه من كل ناحية. انحني نصف انحناءة في ثقة و هو يمرر أصابعه بين خصلات شعره المبللة بالعرق، اعتدل واقفًا، هز الدميتين في يديه كتحية أخيرة، ثم غادر المسرح الى الكواليس.

*****

دخل عابرًا الرواق الضيق الذي تترامي الحجرات على جانبيه، نافضًا عن كتفيه و ملابسه بعضًا من أوراق الورود التي علقت بها، تستقبله عاصفة أخرى من تحايا العاملين بالمسرح الذين يقفون على جانبي الممر و داخل غرفهم.

- النهاردة حضرتك كنت غير !
- تحفة !
- فعلًا يستحق لقب الأستاذ !
- ايديك تتلف في حرير والله يا أستاذ.
- ياخي قول ماشاء الله، ربنا يحرسك يا أستاذ.

قالتها سيدة و هي تلكزالشخص الواقف جانبها.

استقبل هو تلك التحايا دون أن ينظر الى أصحابها حتي وصل الى غرفته المكتوب على بابها :

الأستاذ آسر الحديدي.

دفع الباب و دخل لينغلق الباب من خلفه، اتجه الى المرآة الموضوعة في مواجهة الباب، جلس على المقعد المقابل لها، ألقي بقناعه جانبًا و أخذ ينظر لصورته في المرآة في زهو.

كان رجلًا في الأربعينيات، بدأ الشيب يغزو فوديه و جزءًا صغيرًا من مقدمة شعره، ذو ملامح حادة، عينان سوداوان واسعتان، و شارب يتصل بذقنه فيما يسمي بالدوجلاس.

ناظرًا الى المرآة في ترقب، رفع شبيهه حاجبيه ثم صفق له في نشوة مغمضًا عينيه، ثم فتح عينيه تدريجيًا متوقفًا عن التصفيق قائلًا له :

- كنت هايل النهاردة.
- عارف.
- الله ! ده احنا اتغرينا بقي..بدأنا نتعلم أهو !
- تلميذك.!
- بقيت شبهي لدرجة تخوف.

ضحك آسر ساخرًا، مسح تحت أنفه بسبابته قائلًا:

- مش ده اللي انت عايزه ؟ ولا ايه !

يرد الصوت من داخل المرآة عليه قائلًا :

- طبعًا، عايزك تبقي صورة مني.! نسخة طبق الأصل.
- ليه ! ليه عايزني ابقي زيك !
- ده لمصلحتك.

قالها انعكاسه بصوت هاديء.

- مصلحتي اني ابقي قذر ؟ مبقاش طيب ؟
- قصدك ما تبقاش أهبل !

قالها انعكاسه بصوت هادر اهتزت له المرآة مما جعل آسر يرفع يديه أمام وجهه مختبئًا خلفهما، ثم أنزلهما تدريجيًا قائلًا في خفوت :

- أنا مش أهبل.
- أهبل و جبان ! يا جبان !
- أنا مش...
- ششششش! ما تتكلمش كتير، قلدني و انت هاتبقي تمام.. ممكن ؟

- ممكن..
- خصوصًا..معاها..

قالها انعكاسه معدلًا من هندامه ناظرًا في ثقة إليه، فعدل آسر هو الآخر من هندامه مقلدًا ما يحدث في المرآة.

*****

في إحدى الغرف المجاورة، تجلس هي..شبه متربعة على إحدى الأرائك..منهمكة في عمل شيء ما..

تحني رأسها الصغير في رقة ناظرة الى ما بين يديها، دمية بيضاء صغيرة، تقوم بترقيع قُطع حدث بها أثناء العرض منذ قليل..

تنظر الى ضفيرتها المدلاة أمام صدرها ثم تلقي بها خلف ظهرها في غير اكتراث، خصلة من شعرها حالك السواد كانت قد هربت مبتعدةً عن وجهها، أمسكت هي بها تعيدها خلف أذنها اليمني، ثم عادت الى ما كانت منهمكة فيه قائلة بصوت خفيض لنفسها :

- لازم كل مرة يموّت عروسة، ما بيعرفش يبقي حنين عليهم أبدًا..

اعتدلت في جلستها و هي مازالت ممسكة الدمية في رقة قائلة من جديد :

- و أنا ذنبي إيه أنضف كل يوم وراه، و أصلح آثار جرايمه على خشبة المسرح.

رفعت الدمية بيديها في الهواء لتتأكد من خلوها من أي قُطع آخر ثم تمتمت مكملة :

- و ياريت على خشبة المسرح بس، دي جرايمه سايبة في كل حتة في روحي علامة..اهي حتي جروح العرايس بتتصلح و ترجع زي الأول، انما الجروح في روحي محتاجة الف ترزي و ترزي و برضه عمرها ماهي راجعة زي الأول.

سقطت من عينيها دمعة بللت رأس الدمية الضئيلة بين يديها محدثة بقعة صغيرة تحت عينيها ..

كادت أن تدخل في نوبة من البكاء حينما دق أحدهم على الباب دقتين متتاليتين فمسحت هي دموعها قبل أن تنتحر سقوطًا من نافذة عينيها، وضعت الدمية جانبًا ثم نهضت معدلة من هندامها قائلة :

- ادخل

انفتح الباب ليظهر من ورائه آسر بجسده الممشوق ..مرتديًا بنطالًا أسودًا و بلوفر بنفس اللون يغطي عنقه، دلف الى الغرفة، أغلق الباب بقدمه ثم استند عليه عاقدًا ساعديه أمام صدره قائلًا لها :

- إيه يا نارا ؟ ما جهزتيش ليه ؟

- نعم !؟

قالتها نارا باستنكار ناظرة له بعينين متسعتين

- بقول لك ما جهزتيش ليه ؟ عشان نخرج

قالها ثم نظر في ساعته ثم أكمل مستطردًا :

- إلا ستة أهي، جاي قبل معادي بست دقايق بحالهم، ملكيش حجة بقي !

ضحكت نارا ساخرة، ثم انتابتها هستيريا من الضحك حتي بكت عيناها فجلست مخبئة وجهها بين يديها حتي اقترب منها آسر قائلًا في غضب :

- انتِ مجنونة !

أزاحت هي يديها عن وجهها مبتسمة في ذبول، نظرت في عينيه معاتبة ثم قالت بصوت هاديء:

- انت جيت في معادك تمام. .بس متأخر يوم كامل يا آسر.

تراجع آسر خطوة الى الوراء و ملامح الغضب تتلاشى من وجهه لتحتل بدلًا منها ملامح المفاجأة، ثم سرعان ما تمالك نفسه ناظرًا الى نارا في حدة قائلًا :

- مانا عارف، مافرقتش النهاردة من بكرة يعني !

- صح، ما الأيام وياك تشبه بعضها.

قالتها نارا ناظرةً الى أرضية الغرفة في أسف.

- قصدك ايه؟

قالها آسر مقتربًا منها في خطوتين سريعتين مما جعلها تجفل عائدة بجسدها الى الوراء على الأريكة التي تجلس عليها قائلة في خوف :

- ما قصديش.

- ممم بحسب، هاتخرجي ولا لأ ؟

- أيوة بس لبسي...

قالتها ناظرة الى ملابسها الغير صالحة لمثل هذه المناسبة (موعد غرامي، أو فلتسمه كما تشاء)

- يوه يا نارا ! وانتِ ما لبستيش حاجة عليها القيمة ليه !؟ مش تعملي حسابك لحاجة زي كدة.

- ماهو... انت ...اللي ..

قالتها و دموعها بدأت في التساقط من جديد.

- أيوة ..اتلككي بقي ! و انت و مش انت .. دي حاجة تقرف ! ..بقول لك ايه أنا خارج أنا ..مش ناقص نكد!

قالها ثم استدار مغادرًا الغرفة صافعًا الباب وراءه في قوة جعلت نارا تجفل مغمضة عينيها. .ثم نظرت الى بقعة دموعها التي اتسعت على وجه الدمية بجانبها.

*****

مغادرًا غرفة رايا اصطدم آسر بجسد شخص آخر كان على وشك الدخول إليها، دفعه آسر ضاربًا صدره بيديه قائلًا :

- جرى إيه يا بسيوني ! ما تفتح !
- آسف يا بيه.

قالها بسيوني متلعثمًا و هو يتراجع الى الخلف بفعل الدفعة، محاولًا الاستناد على الحائط، كان على وشك السقوط أرضًا بسبب تلك الدفعة القوية، إضافة الى جسده الواهن الذي تعدى عمره الستين عامًا، و غزا الشيب رأسه ليشي بمدي تقدم ذلك العمر.

- انت رايح فين ؟
- كنت داخل أجيب العرايس من عند الست نارا أوديها أوضة حضرتك.
- لا، روح الأول اطفي اضاءة المسرح و بعدين ودي العرايس، يلا!

قالها آسر مشيرًا له باشمئزاز .

- حاضر يا بيه بس بالنسبة للـــ. . . .

- بقول لك ايه يا بسيوني . .أجازات مفيش . .انت شايف الشغل على ودنه، لما أديك أجازة يعني أنا، مين يمسك مكانك ؟ أمي ؟

- لا العفو يا بيه، بس يعني . .

- مفيش بس، ما توجعليش دماغي . .الموسم قرب يخلص و هاتاخد أسبوعين بحالهم أجازة وقتها .

قالها آسر ثم أخرج علبة سجائره، أشعل واحدةً منها نافثًا دخانها في وجه بسيوني، قبل أن يغادر قائلًا في هدوء :

- اشتغل بدل ما تاخد أجازة أبدية م الشغل . .

*****

كاد بسيوني أن يطرق باب نارا إلا أنه تذكر أوامر آسر فأعاد قبضته الى جانبه في حرج، ناظرًا الى ظهر آسر الذي وصل الى آخر الرواق سائرًا في تؤدة نافثًا دخان سيجارته الى السماء.

أزاح بسيوني بصره عنه ثم سار الى الناحية العكسية بمحاذاة حائط الرواق يكاد قلبه أن ينخلع من تهديد آسر و طريقة معاملته له، برغم عمرة الكبير الذي يخوله لأن يكون أبًا لآسر.

كان يسير في الرواق بلا هدى، ناظرًا الى اللاشيء حتي أخرجه من شروده صوت أحدهم يناديه :

- عم بسيوني ..! يا عم بسيوني !

رفع بسيوني عينيه ليجد أمامه شمس، عازف البيانو الخاص بالمسرح، لكنه لم يتبين ملامحه لأنه كعادته يرتدي تلك القبعة الأمريكية، و يدفن نصف وجهه الأيسر في الظلال.

- أيوة يا شمس يابني.

قالها عم بسيوني بعينين يترقرق فيهما الدمع.

- مالك فيه ايه ؟

لم يجب بسيوني و إنما أطرق برأسه محاولًا منع دموعه من الهروب، و شعر بشمس يضع يديه على كتفيه قائلًا له من جديد :

- آسر برضه ؟

لم يجب بسيوني من جديد و إنما هز رأسه موافقًا

- مش راضي يديك أجازة برضه ؟

- أيوة، و المشكلة انه عارف اني مش هقدر اسيب الشغل هنا، مين هياخد راجل عنده 65 سنة يابني يشغله عنده ؟ وهو بقي بيستغل النقطة دي.

- بيلوي دراعك يعني..

- بالظبط..

- معلش يا عم بسيوني، هبقي أحاول أكلمهولك أنا..

- لا بلاش يابني..ماتجيبش لنفسك الكلام..انت مش ناقص.. اعذرني يعني..انت نفسك بتتبهدل أكتر مننا كلنا..

أشاح شمس وجهه ممسكًا نصف وجهه المخفي بيده، أومأ برأسه ثم استدار متجهًا الى غرفته..و هو يعرج بقدمه اليسري...

*****

دلف شمس الى غرفته، أغلق بابها ثم اتجه الى مرآته الخاصة، خلع قبعته، أمسكها بيده واضعًا إياها على صدره و كأنه يرثي شخصًا ميتًا، رفع عينيه الى صورة انعكاسه بالمرآة..الى وجهه..أو..الى نصفي وجهه المتناقضين..النصف السليم..و النصف الآخر المشوه.. النصف الأيسر..عينه الذابلة النصف مغلقة..نصف شفتيه المرفوعتين الى أعلي، و تلك التجاعيد التي تملأ ذلك النصف، و كأن وجهه من الشمع الخالص الذي تم اذابته و تجميده على ذلك الوضع الرهيب.رفع يده يتلمس نصف وجهه متذكرًا كلمات بسيوني التي قالها له للتو :

((ماتجيبش لنفسك الكلام..انت مش ناقص..اعذرني يعني.. انت نفسك بتتبهدل أكتر مننا كلنا))

- انت عارف، مع انه راجل عجوز و بيخرف كتير، بس ياخي ساعات بيقول حِكم !

فاجئه صوت آسر يأتي من خلفه، جالسًا على مقعد في أحد أركان الغرفة المظلمة، يضع ساقًا على ساق، وهو مازال ينفث دخان سجائره.

نظر شمس له في المرآة دون أن يستدير قائلًا :

- انت دخلت هنا ازاي ؟ و مين اداك الحق انك ....

قاطعه آسر ناهضًا من مقعده قائلًا :

- حبيبي أنا أدخل اي مكان يعجبني في أي وقت يعجبني، ده المسرح بتاعي و أعمل فيه اللي أنا عايزه.

- المسرح بتاعك المسرح بتاعك ! قرفتنا ياخي ! هو مفيش حد تاني عنده مسارح غيرك في البلد !

قالها شمس بصوت غاضب و هو يشيح بيديه في الهواء.

- مين اللي قال كدة ؟ المسارح مالية البلد يا حبيبي، بس قوللي مين هايشغلك بشكلك ده ؟

انت عارف..آخرك تشتغل في السيرك، يجيبوك تخوف العيال الصغيرة.

هاتبقي هايل..بص..هعمل لك إعلان.

قالها ثم اتجه خلف شمس ممسكًا وجهه بكلتا يديه بقسوة دافعًا إياه ناحية المرآة ثم أكمل من جديد و السيجارة التي يمسكها تكاد تحرق وجه شمس:

- الآن، بالسيرك القومي بالعجوزة، تعالوا و شاهدوا الفقرة

الجديدة، البعبع !

ممنوع لأصحاب القلوب الضعيفة و من هم تحت سن . . .

قالها ناظرًا إليه في سخرية مكملًا :

- نقول 16 سنة كفاية . .

قالها و انفجر ضاحكًا تاركًا وجه شمس، ثم ربت على كتفه قائلًا :

- مش قال لك ماتجيبش لنفسك الكلام ؟

*****

غادر آسر غرفة شمس متجهًا الى خشبة المسرح، و ما إن وصل إليها حتي سحب مقعدًا و جلس عليه بالمقلوب مواجهًا مقاعد المسرح.

كانت الإضاءة خافتة لا تسمح برؤية الكثير..كاد آسر أن يغمض عينيه حينما انفتح ضوء أحد الكشافات السقفية فجأة مثبتًا ضوءه على أحد المقاعد الأمامية، ليظهر طفل صغير يجلس في ثقة، يهز ساقية المتدلتين في حبور قائلا :

- مبسوط من نفسك كدة ؟
- و انت ايه اللي يزعلك ؟

قالها آسر واضعًا ذقنه على ظهر المقعد مبتسمًا في سخرية.

- مانت عارف، اللي يبسطك يبسطني، و اللي يزعلك يزعلني...بس أنا مش مبسوط..عشان كدة بسألك ..انت مبسوط من نفسك كدة ؟
- مش مهم أبقي مبسوط، بس أنا كدة مرتاح.

قالها مشعلًا سيجارة أخرى نافثًا دخانها في بطء

- مرتاح و انت تاعب الناس ؟
- هما اللي بيجيبوه لنفسهم.

- بس انت مكنتش كدة.
- مين اللي قال كدة ؟
- أنا أكبر دليل ! ان انت مكنتش كدة.

قالها الطفل مشيرًا لنفسه في ثقة.

- قصدك كنت، زمان.
- المهم اني حقيقة، مش خيال، و من غيري عمرك ما كنت هاتبقي !
- انت هاتتفلسف يالا ؟ انت عندك كام سنة أصلًا ؟!
- الله، انت هاتستعبط يا آسر! ..احنا من سن بعض..انت نسيت ؟

قالها الطفل ناظرًا له في استنكار.

- عندك حق، بس أصل شكلك يعني..
- ايه ؟ ماله شكلي ..كل واحد يبص لنفسه

لم يجب آسر و إنما أشار بيديه للطفل طالبًا العذر وهو ينفث دخان سيجارته في ضيق، فأكمل الطفل مستطردًا

- أيوة كدة نلم روحنا، نتكلم جد شوية بقي ؟
- اتفضل.

اعتدل الطفل في مقعده شابكًا أصابع يديه ناظرًا أمامه بعمق، أخذ نفسًا عميقًا ثم استطرد من جديد :

- الجدع التاني ده هايوديك في ستين داهية.
- مين ؟
- ما قلنا نبطل استعباط يا آسر ! الجدع بتاع المراية ! اللي ممشيك وراه زي الـ...
- خلاص عرفت !
- ايه اللي عاجبك فيه مش فاهم !
- قوته !
- قصدك شره
- أيًا كان...قوته أو شره..مش مهم ..بس الحاجة دي بتحميني.
- و ليه ما تبقاش طيب.
- زيك كدة ؟

- مثلًا.
- و أموت زيك ؟
- مين قال ان أنا مت ؟!
- أنا أكبر دليل ! ان انت مت..

قالها آسر مشيرًا الى نفسه محاكيًا نفس حركة الطفل التي فعلها منذ قليل.

- بيتهيألك.
- أنا لو بيتهيألي حاجة تبقي انت.
- هانشوف !
- انت بتهددني !؟

قالها آسر ناهضًا من المقعد في غضب.

- آسر بيه، انت بتكلم مين ؟

جاءه الصوت من خلفه، صوت بسيوني، استدار ناظرًا إليه في حنق ثم أعاد بصره الى مكان مجلس الطفل، الذي كان قد اختفى تمامًا..

*****

- محدش يا بسيوني محدش. .اجري اعمل لي كوباية قهوة. . سادة.

قالها آسر متأففا دون أن ينظر الى بسيوني.

- حاضر يا سعادة البيه، عينيا.

قالها بسيوني مغادرًا باتجاه المطبخ، و ما إن وصل هناك حتي وجد نارا بالداخل تستند الى الثلاجة الموضوعة في أحد الأركان و هي تنظر الى أرضية المطبخ في شرود، و ما ان انتبهت لوجوده حتي اعتدلت مبتسمة في ذبول قائلة :

- ايه يا عم بسيوني ، خير.
- مفيش يا ست هانم. .آسر بيه طلب مني أعمل له قهوة بس.
- طيب روح انت و أنا هعملهاله.
- أيوة بس. .
- ما تقلقش، ما تقلقش يا عم بسيوني، هو فين ؟
- تشكري يا ست هانم، هو عالخشبة.
- طب قوللي . .هو لسة برضه. . ؟
- لسة مش راضي يديني الأجازة لأ. .

- أنا كان نفسي أساعدك يا عم بسيوني بس . .
- عارف والله يا ست هانم عارف . .
- ماشي روح انت و انا هعمل له القهوة خلاص .
- ماشي يا ست هانم . .تؤمري بأي حاجة تانية ؟
- ربنا يخليك يا عم بسيوني . .تسلم

قالتها ثم أخذت تقوم بصنع القهوة و ما ان انتهت حتي اتجهت بها الى خشبة المسرحة لتجد آسر جالسًا هناك ناظرًا الى أحد المقاعد الفارغة في تحدٍ .

- القهوة .

قالتها نارا مقتربة منه في هدوء .

- و الزفت اللي اسمه بسيوني ماجابهاش هو ليه !

قالها من دون أن يحرك ساكنًا .

- أنا حبيت أعملهالك و أجيبهالك بنفسي ، اتفضل .

نظر لها في استنكار متناولًا منها الصينية ، ثم نفخ في ضيق قائلًا :

- هاتروحي امتي ؟
- مستنية رنيم و أخوها هايعدوا عليا عشان يوصلوني . .
- رنيم و مين ؟
- أخوها . .
- تركبي مع واحد غريب العربية ؟
- ماهو معاه أخته
- طب ماهي غريبة هي كمان !
- و العمل ؟
- روحي لوحدك .
- دلوقتي ؟ الساعة 11 ؟
- و انتِ صغيرة؟
- طب ما تيجي توصلني انت . .
- اه . .فاضيلك أنا بقي . .هشتغل السواق بتاعك كمان .
- هو انت لا بترحم ولا تسيب رحمة ربنا تنزل ؟

لم يجب آسر مباشرة و انما تناول رشفة من فنجانه على مهل ثم أغمض عينيه مشيرًا لنارا بيده قائلًا :

- أيوة، أيوة ..الاسطوانة إياها ..انت ما بترحمش، يا ساتر عليك..انت قاسي ازاي كدة...

قالها ثم سحب نفسًا من سيجارته نفثه في بطء مكملًا :

- ها، فيه بق تاني ؟ ولا لسة مانزلكيش أبديت جديد ؟

نظرت له بعينين دامعتين غير مصدقة ما يقوله ثم قالت في خفوت :

- صدقني انت مش بني آدم

هز آسر مغمضًا عينيه مشيرًا لها بإبهاميه الإثنين دليلًا على الموافقة قائلًا :

- البق ده جديد..عجبني قوي..ابقي اعمليهولي كول تون و النبي، تصدقي ينفع أغنية لإسمها ايه دي اللي نزلت في الشتا..اه دنيا.

لم تستطع نارا أن تتحمل أكثر من ذلك فألقت بالصينية أرضًا ثم ركضت لتغادر خشبة المسرح و ما كادت أن تفعل حتي استوقفها آسر هاتفًا في حدة دون أن يستدر مواجهًا إياها :

- استني ! رايحة فين ؟

- ماشية، مروحة !
- أنا خلصت كلامي ؟
- و أنا هستناك تهزق فيا أكتر من كدة؟
- و أنا لسة هزقت ؟
- انت عايز ايه ؟
- أخوها ها ؟ اكمن الواد عينيه ملونة و شعره اشقر ؟

قالها غامزًا لها بعينه، ثم أخذ رشفة أخرى من فنجان القهوة..

- انت انسان مريض و حياة ربنا !
- انا عايز مصلحتك يا نارا
- انت كل حاجة حلوة مصمم تشوهها..كل حاجة أبنيها بتهدها !
- أنا ؟
- هانروح لبعيد ليه ؟ المسرح ده، شوف كمية العرايس اللي عملتها بإيدي و انت مصمم كل يوم تقتل واحدة بإيديك، كل يوم ترجع لي عروسة متقطعة أو متكسرة..

مش فاهمة بتموتهم ليه ؟ هو انت فيه تار بايت بينك و بينهم يا أخي ؟

- أموتهم؟

قالها آسر ساخرًا ثم ضحك فتعالت ضحكاته حتي أخذ يسعل حتي هدأ مكملًا :

- انتِ مجنونة صح ؟ هموت العرايس ازاي يعني..دول خشب و قطن..!

- هو ده الفرق بيني و بينك، أنا شايفاهم عرايس، فيهم روح و دم زيي و زيك، و انت شايفهم قطن و خشب !

أصلًا هي دي مشكلتك ..انك شايف كل الناس قطن و خشب...أنا ..شمس..عم بسيوني..حتي الجماهير اللي بييجوا عشان يشوفوك و يصقفوا لك و يصرخوا باسمك، شايفهم قطن و خشب.

قالتها مشيرة ناحية المقاعد الفارغة بصالة المسرح.

لم يستطع آسر الرد هذه المرة، و إنما نظر لها بجانب عينه في تردد بالعًا ريقه في صعوبة فأكملت نارا الحديث قائلة و عينيها تحاول إمساك دموعها في صعوبة :

- حتي لو افترضنا ان أنا قطن و خشب يا آسر، حتي القطن

و الخشب ليه قدرة تحمل، و هاييجي يوم ويقول لك كفاية. .افتكر كلامي ده كويس. .

قالتها ثم غادرت خشبة المسرح، و ما إن اختفت ت نارا حتي ألقي آسر بالفنجان أرضًا صارخًا في قوة لتردد حوائط المسرح صدي صوته

*****

نهض آسر ملقيًا بالمقعد أرضًا في غضب ثم اتجه الى غرفته مسرعًا، و ما إن دخل غرفته حتي صفع بابها خلفه في قوة، اتجه الى السرير الموضوع في أحد جوانب الغرفة متحاشيًا النظر الى المرآة. .استلقي على السرير. .ثم ذهب في نومٍ عميق. .

في صباح اليوم التالي استيقظ على نداءات كان يعلم مصدرها بالتحديد. .من المرآة. .

نهض جالسًا في سريره، ثم تحرك باتجاه المرآة، جلس أمامها ناظرًا داخلها في توتر. . .

نفخ انعكاسه في المرآة في ضيق قائلًا :

- ناموسيتك كحلي يا باشا !

لم يجب آسر و إنما عبث بشعره قليلًا محاولًا ألا ينظر مباشرة لصورة انعكاسه الذي أكمل قائلًا :

- هفضل لإمتي أعلمك ؟
- .....
- ليه مش قادر تكون زيي ! ليه ! ايه اللي صعب في كدة فهمني !!

قالها انعكاسه ضاربًا بقبضته على المرآة من الداخل.

- أنا..أنا ...
- انت زهقتني..مفيش فايدة منك..
- بس..
- بس ايه ؟ ده انت خليت عيل لسة بيعملها على روحه يمسح بيك الأرض..
- انت عرفت..

قالها آسر مطرقًا برأسه في خزي مستمعًا لانعكاسه الذي تكلم من جديد قائلًا :

- انت عارف ان انت كنز ؟

- أنا ؟

قالها آسر و آساريره بدأت تتهلل

- طبعًا، انت عارف ان عبطك ده ممكن يتدرس في المدارس و الجامعات، هاتبقي مادة هايلة للسخرية.

لم يجب آسر و إنما اختفت ملامح السرور لتظهر بدلًا منها ملامح خيبة الأمل مستمعًا لانعكاسه الذي أكمل من جديد قائلًا :

- و مش بعيد تاخد نوبل..أحسن عبيط في الدنيا.
- أنا ...أنا ..
- اللي حصل زمان، هايحصل تاني..

و بعينين ذاهلتين هز آسر رأسه و كأنه يطرد شيئًا ما من عقله

- هايسيبوك في وسط النار و يمشوا..

أغمض آسر عينيه دامعًا في صمت و استطرد انعكاسه مكملًا :

- خليهم، خليهم يلعبوا بيك الكورة كدة.
- أنا محدش يقدر يلعب بيا !

قالها آسر ناظرًا الى انعكاسه في قسوة.

- متأكد ؟

- طبعًا !

- يا راجل ده انت قاعد هنا و فايتاك حفلة تجنن برة!

- قصدك ايه ؟

- شوف انت لما الكناريا تقع في حب الغراب..و ده ليه ؟

عشان انت فتحت لها القفص، و سبته يدخل لها..قمة المهزلة والله..

قالها انعكاسه واضعًا ساقًا على ساقٍ، ضاربًا كفًا بكف.

- انت بتقول ايه ؟

قالها آسر ناهضًا من على مقعده في غضب..

- فيه حفلة برة على شرفك، و انت مش معزوم..

قالها انعكاسه مشيرًا بسبابتيه ناحية المسرح فاستدار آسر مغادرًا الغرفة بسرعة كاد أن يتعثر معها و يقع و لكنه تمالك نفسه مهرولًا في الرواق، الذي وصل منه صوت عزف و غناء لم يستطع تمييزه حتي وصل الى الى كواليس المسرح فتوقف فجأة ليسترق السمع و النظر من خلف إحدى الستائر، كان شمس يجلس الى البيانو مرتديًا قبعته الأمريكية كعادته، و بجانبه تجلس نارا و هي تضحك على شيء ما قاله..

*****

كانت نارا ترتدي ثوبًا أبيضًا فضفاضًا، له عقدة أنشوطية من الخلف، و أكمام قصيرة تظهر بشرتها البيضاء..وكانت قد فكت ضفيرتها ليغطي شعرها كتفيها و ظهرها تمامًا كشلال من الحرير الأسود، لا تضع أي مساحيق تجميل، و قد صارت كأنها أحد الرسوم الملائكية.

بعد ثوان بدأ شمس في اللعب على البيانو، و نهضت هي تستعد للغناء ..

كان آسر يعرف هذه الأغنية، هي أغنية نارا المفضلة، و التي دائمًا ما تخبره أنها تعبر عنهما، عن قصة حبهما ..

كانت أغنية You Ruin Me لفريق The Veronicas

أغمضت نارا عينيها و بدأت في الغناء قائلة :

Job well done, standing ovation

Yeah you got what you wanted, I guess you won

And I don't wanna hear, They don't know like I do

Even I could've told you, but now we're done

دمعت عيناها و هي تنتقل الى الجزء التالي من الأغنية

Cause you, play me like a symphony’

,Play me till your fingers bleed

I’m your greatest masterpiece

You ruin me

,Later when the curtain’s drawn

,And no one’s there for you back home

,Don’t cry to me

,You played me wrong

You ruin me

كادت أن تكمل الأغنية حينما دخل آسر فجأة الى خشبة المسرح مصفقًا بشدة في حماس مصطنع حتي اقترب منهما قائلًا :

- برافوا برافو برافو . . . .بسم الله ماشاء الله . .ايه ده بقي ؟

قالها ثم أشار بيديه إليهما مكملًا من جديد :

- بتصوروا فيديو كليب ؟ كريستينا أجيليرا و برونو مارس ياخواتي !

قالها ثم تعالت ضحكاته بشكل مستفز جعل نارا و شمس ينظر كل منهما للآخر في ذهول..

ثم توقف آسر فجأة عن الضحك قائلًا :

- حلو قوي الجو ده، ها ؟ ما نبيع العرايس بقي لبتاع البيكيا، و نقلب المسرح ديسكو، ولا كباريه أحسن ..ايه رأيكم ؟

ثم اتجه الى طرف خشبة المسرح رافعًا يديه في الهواء مكملًا :

- و نعمل لكم اعلان كبير برة نكتب عليه بالبونط العريض " عرض خاص..الجميلة و الوحش"

ثم استدار ناظرًا إليهما مكملًا من جديد :

- طبعًا كل واحد فيكم عارف نفسه، من الجميلة و مين الو....

- آسر !

قالتها نارا مقاطعةً إياه ثم أكملت بصوت متهدج :

- مش هاتبطل بقي يا أخي ! حرام عليك !

- بقي أنا برضه ؟

قالها ثم اتجه ناحية شمس ناظرًا له مكملًا في سخرية :

- شوف ياخي ! امبارح أخو رنيم، و النهاردة انت..ده انتِ مش عاتقة !

- اخرس، انت بتقول ايه !

قالتها نارا بصوت باكٍ و هي تمسك بتلابيبه دافعة إياه الى الخلف من دون أن يتخلص منها أكمل آسر ضاحكًا في سخرية :

- طلعتِ مش سهلة أبدًا ..

قالها ضاحكًا أكثر حتي فوجيء بيد رايا تمتد لتصفعه و لكنه أمسك بها قبل أن تمس خده، تلاشت ضحكاته و عبس قائلًا :

- تؤ تؤ تؤ ...عيب ! شتيمة اه...ضرب لأ !

قالها ثم أمسك بمعصميها الإثنين مقتربًا من أذنها هامسًا :

- شمس يا نارا ؟ ده انتِ نِفسك حلوة قوي..

حاولت أن تتخلص من قبضتيه الممسكتين بمعصميها في إحكام و لكن بلا فائدة فتوقفت عن المقاومة مطرقة برأسها في يأس .

نهض شمس من مقعده فأشار له آسر برأسه قائلًا بلهجة تحذيرية :

- اوعي !
- اهو انت فالح تتشطر بس عليها .

جاءه الصوت من بعيد . .من إحدى الثريات المعلقة في سقف المسرح، كان الطفل يجلس محتضنًا إياها يتأرجح بها يمنة و يسارًا في جزل .

التفت آسر إليه محدقًا به في حنق، ثم أرخي قبضتيه حول معصمي نارا مما جعلها تفلت منه متراجعة الى الوراء ممسكة بمعصميها في ألم .

- ملكش دعوة انت !

قالها آسر مشيرًا الى الطفل بطريقة تحذيرية .

نظر كل من شمس و نارا باتجاه الثريا دون أن يفهما شيئًا .

- دلوقتي يقولوا عليك مجنون .

قالها الطفل مبتسمًا في سخرية و هو مازال يتأرجح بالثريا .

نظر له آسر ثم نقل بصره الى نارا و شمس في توتر ثم نظر الى الأرض قائلًا :

- أنا مش مجنون !

- آسر انت بتكلم مين ؟

قالتها نارا في قلق حقيقي مقتربة منه و لكنه أشار إليها بالتوقف قائلًا :

- ما تقربيش !
- من شوية كنت بتهددها، دلوقتي خايف منها ؟

قالها الطفل ثم تعالت ضحكاته في جذل بريء..

- أنا مش خايف من حد !

قالها آسر ناظرًا للطفل من جديد و عيناه تتابعانه و هو يتأرجح بالثريا.

- كداب، انت أكبر خواف في الدنيا...انت عايش في كابوس كبير اسمه الوحدة !

لم يجب آسر و انما توترت كل خلية من جسده و بدأ يرتعش قليلًا و هو يسمع الطفل يستطرد حديثه :

- من ساعة اللي حصل زمان..فاكر ؟

تتابعت بعض المشاهد القديمة في ذهن آسر مما جعله يجفل، يغمض عينيه و يفتحهما، يمسح بعض من قطرات العرق التي بللت جبهته ناظرًا الى الطفل الذي أكمل من جديد :

- الحريقة ؟ اللي انا مت فيها . .و انت اتولدت منها . .فاكر ؟

- لا مش فاكر . .مش فاكر . .و مش عايز أفتكر !!

قالها آسر واضعًا كلتا يديه على أذنيه يسدهما، مغمضًا عينيه في ألم . .وفجأة سقط جاثيًا على ركبتيه مما جعل شمس يتحرك باتجاهه و هو يعرج حتي وصل إليه ملامسًا كتفه مما جعل آسر يرتعد فجأة صارخًا :

- ما تلمسنيش !

قالها آسر فتراجع شمس خطوتين الى الوراء ناظرًا إليه في أسف .

- انا مش فاهمك لحد دلوقتي، انت بتحقد عليه . .ولا بتستعر منه ؟

قالها الطفل و هو يقفز تاركًا الثريا هابطًا الى الأرض، واقفًا في الرواق بين صفي المقاعد، نفض عن بنطاله بعض الأتربة ثم سار باتجاه خشبة المسرح مكملًا :

- بقي فيه حد يستعر من أخوه ؟

جاثيًا على ركبتيه رفع آسر عينيه ناظرًا في غضب الى الطفل الذي أكمل مستطردًا :

- طبعًا مش قادر ترد، اه صحيح ، انت مش قايل لهم انه أخوك .

- مش أخويا ! ..مش أخويا !!!!

قالها آسر ضاربًا بقدمة الأرض في غضب حينما دخل بسيوني مهرولًا على إثر الصوت قائلًا :

- فيه ايه يا آسر بيه ؟ خير ؟

- مين اللي مش أخوك يا آسر ؟

قالتها نارا في عدم فهم ثم احتل الصمت المكان، و زاد التوتر لدرجة يمكن معها قطعه بالسكين

- أنا ..

قالها شمس مطرقًا برأسه ثم أكمل :

- أنا مش أخوه..قصدي أنا اللي آسر مش عايز يقول انه أخوه.

ما إن سمع آسر ما قاله شمس حتي انهار تمامًا و استند بكلتا يديه على الأرض في وضع أقرب الى السجود دونما أن ينطق ببنت شفه.

- الكلام ده بجد يا آسر ؟ آسر ؟

قالتها نارا و هي تجثو بجانب آسر الذي أغمض عينيه دون رد.

- من تلاتين سنة، كنا عيلة جميلة، عايشين في بيت أجمل.. ماما، بابا، و آسر و أنا ..و في يوم، صحينا في نص الليل على حريقة مش معروف سببها..

شوية و لقينا ماما و بابا جايين أوضتنا..ينقذونا..ماما قررت تاخدني انا الأول، معرفش ايه سبب قراراها ده، و هي طالعة بابا خد البطانية اللي عالسرير و حصلها عشان يحطها عليا أنا و هي، و قرر يرجع عشان ياخد آسر..فجأة..السقف اللي فوقينا وقع ..

وقع علينا احنا التلاتة بدون سابق انذار..بابا حاول ياخد هو الصدمة عننا..

بعد كام دقيقة سمعنا المطافي جت و طلعتنا كلنا..

كانت النتيجة..موت ماما و بابا..و آسر جاله اختناق بسيط بس عاش سليم..و أنا ..فضلت كدة..

قالها شمس مزيلًا القبعة التي يرتديها ليظهر وجهه كاملًا للجميع، خاصة نصف وجهه المشوه الذي لم يره بسيوني أو نارا بشكل كامل من قبل.

ثم أكمل شمس من جديد و هو يرتدي القبعة مرة ثانية :

- و من يومها، و الطفل اللي جوة آسر مات، و اتخلق بدل منه الوحش اللي انتم شايفينه..

عاش يكرهني، و يكره الناس كلها ..أولهم ماما و بابا اللي ضحوا عشاننا ..

- ابوك و امك ضحوا عشانك انت ! و سابوني انا !

قالها آسر محاولًا النهوض من سقطته.

- محدش سابك، بابا كان راجع لك ياخدك !

- و مخدوناش سوا ليه ! و ليه خدوك انت الأول !

- طب تخيل انت كانوا خدوك انت الأول..حط نفسك مكاني و احسبها انت بقي !

قالها شمس مشيرًا الى نصف وجهه المشوه في ألم.

- أنا مش مصدقة اللي بسمعه ده، انت تعمل كدة يا آسر ؟ و تخبي أخوك عن الناس كل ده؟ طب ليه ؟ عمل لك ايه ؟

قالتها نارا مبتعدة عن آسرالذي لم يستطع الإجابة عليها و انما نظر الى الطفل الذي كان قد جلس الى أحد المقاعد يشاهد ما يحدث في جذل، ثم رفع حاجبيه قائلًا لآسر :

- رد بقي ..لو عرفت ترد..

- أنا مش مضطر اني أرد أو أبرر نفسي لأي حد، لأن محدش له عندي أي حاجة !

- صح، بس احنا كمان مش مضطرين نستحمل أي حاجة..أنا قلت لك قبل كدة يا آسر..

حتي لو انت فاكرنا قطن و خشب..القطن و الخشب ليه قدرة تحمل..و أنا خلاص مبقتش أتحمل..استحملت كتير منك جرح ورا اهمال ورا اهانة ..حاجات كتير متشالة جوة في قلبي، مبقاش فاضل مكان يساع لجروح خلاص..انا اتمليت عالآخر..و فاض بيا و لازم أمشي..

أنا ماشية يا آسر..

نظر لها آسر متألمًا دون أن ينطق حتي جاءه صوت شمس من خلفه قائلًا :

- أنا كمان ماشي، استحملت كتير قوي، تريقة، و تهزيق، و قتل مشاعر كل يوم..

ياريتني كنت مت يوم الحريقة، و لا اني اعيش ميت كل يوم وياك، و انا شايفك بتخبيني عن الناس و بتستخبي مني، بتستعر مني..حابسني جنبك..لا عايزني اعيش جوة ولا برة..أنا هطلع للحياه..للدنيا..حتي لو بنص وش..بدل ما افضل عايش جنبك مليش وش من الأساس..أنا ماشي يا آسر..

ضحك آسر ساخرًا ثم نظر الى بسيوني قائلًا :

- و انت يا بسيوني ؟ معاهم في الانقلاب ده انت كمان ؟

نظر له بسيوني بعينين حمراوين من أثر البكاء قائلًا :

- بقالي سنة بتحايل عليك تديني أجازة..يومين حتي..و انت مش راضي..

مكنتش عايز حتي تسمع انا عايز الأجازة ليه..

الأجازة كانت عشان ابني، ابني العيان..النهاردة بس ابني مات، راح للي خلقه..

و أنا مبقتش عايز الأجازة، بس كمان مبقتش عايز الشغل..انا ماشي يا آسر...بيه.

نهض أسر واقفًا في تحد قائلًا في غضب :

- يعني خلاص ! كلكم عايزين تمشوا ! ما تقدروش ! انتم من غيري ولا حاجة..من غير المسرح ده ولا حاجة ! انتم صفر على الشمال ! فاهمين يعني ايه ! صفر !

قالها مشيرًا بيده ناحية الثلاثة الذين كانوا قد وصلوا الى نصف الرواق ناظرين له في أسف مشوب بالحزن، ثم استداروا مغادرين من جديد يتبعهم الطفل هو الآخر مودعًا له بيده في براءة مما جعله يصرخ هاتفًا :

- انتم رايحين فين ! انت رايح فين انت كمان ! آسر ! آسر ما تمشيش استني !

استدار له الطفل قائلًا :

- أنا مشيت من زمان، أنا مت جواك من بدري..مت يوم الحريقة، آسر الصغير مات، بس مش م الحريقة..انت اللي موته بإيديك.

قالها ثم تبع باقي الراحلين في صمت مما جعل آسر يهتف من جديد واقفًا على خشبة المسرح :

- محدش خد إذني عشان يمشي ! ارجعوا هنا !

أنا هنا الكل في الكل ! أنا اللي في إيدي الخيوط كلها ! أنا اللي بتحكم في كل شيء هنا !

أنا اللي في إيدي الخيوط كلها ! أنا اللي في إيدي الخيوط كلها !

قبل أن يفتح الباب و يخرج من المسرح، يستدير الطفل من جديد ناظرًا الى ما فوق آسر، حيث تظهر يد كبيرة تمسك بصليب خشبي يمتد منه عدة خيوط حريرية تتدلي من الأعلي لتلامس رأس آسر، يديه و قدميه، تحركه من الأعلي..و من بعيد يظهر آسر نفسه و كأنه مصنوع من قطن..و خشب !..

تمت بحمد الله

"نصف رغيف حاف "

انطلقت تلك الصفارة المميزة لوصول المصعد للطابق المحدد، لينفتح الباب و تدخل إليه سيدة في أواخر الثلاثينيات من عمرها ترتدي معطفًا من الفرو يغطي كامل جسدها و نظارةً شمسية تخفي نصف وجهها، ذات شعر أشقر مصفف بعناية.

اتخذت مكانًا لها في المصعد مواجهةً بابه قائلةُ لعامل المصعد في تأفف دون أن تلتفت إليه:

- الدور الرابع، الفود كورت

- حاضر يا فندم

قالها العامل في وجلٍ شديد و هو يضغط زر الطابق المطلوب مرتديًا ابتسامة بلاستيكيةً على وجهه.

صمت حاد يقطعه رنين هاتف السيدة المحمول، تخرجه من حقيبتها و ترد :

– ألو، أيوة يا بيري، آه خلاص وصلت أهو في الأسانسير..لأ جاية لك عالكافيه، معلش عارفة اني أتأخرت، بس أصلي اتخانقت مع كامل، موديل عربيتي قِدِم يا بيري ! آه موديل 2014 و عايزة أجيب 2015، تخيلي مستخسر يجيبهالي ! هو طول عمره كدة فقر..حاجة تنقط والله يا بيبي، يلا خلاص أنا وصلت الدور أهو و جاية لك، باي.

تنهي المكالمة و تعيد الهاتف داخل حقيبتها، ينفتح باب المصعد يصاحبه الصوت المميز للوصول فتخرج منه عابثه بشعرها...و يدخل شخص آخر، يرتدي حلةُ سوداء في غاية الأناقة، يبدو فيها كأنه خارجٌ للتو من أحد أفلام جيمس بوند..

يقف في مواجهة مرآة المصعد يحاول أن يرتب من هندام حُلته، تخرج منه كلمة واحدة في جدية تامة لعامل المصعد دون أن ينظر له :

– التاسع !

– حاضر سيادتك..

يخرج هاتفه المحمول و يتصل بشخص ما :

– ألو، زين، أخبارك ايه، تمام، كله تمام، اه لسة مخلص الصفقة من شوية في الأوتيل، كانوا عايزين يقفلوها على 21 مليون، بس أنا اعترضت، من هنا لهنا خلصناها على 20، كانوا متخيلين انهم ممكن يضحكوا على يوسف علام و ياكلوا عليه مليون، مايعرفوش أنا مين باين !

لا أنا قلت أفوت على محل التحف اللي في المول هنا، هشتري فازة و أخليهم ينقلوها عالفيللا، أصل يا سيدي الولاد جابوا كلب شقي قوي، شيطان، كسر فازة من اللي في الهول تحت، يا سيدي مش مهم دي ب 70 ألف، يلا مستنيك بالليل نحتفل كلنا بالديل، سلام.

أنهي مكالمته مع وصول المصعد لوجهته المحددة، انفتح باب المصعد ليخرج منه و يدخل شخصان آخران، و ينغلق باب المصعد تدريجيًا بعدها..

شاب و فتاه، يبدو أنهما متزوجان حديثًا أو على وشك الزواج..

يضغط الشاب على زر الطابق الثاني دون أن يطلب ذلك من العامل ثم يمسك بيد رفيقته و يقفان شبه ملتصقين في أحد أركان المصعد..

– أنا مش عارفة ليه انت مش عايز تجيب الخاتم أبو 150، ليه مصمم على أبو 120، ولا هي عفانة و خلاص ؟

قالتها الفتاه بصوت شديد الخفوت، فرد الشاب في عصبية بصوت أعلي نسبيًا

– و ليه ماتقوليش ان انتِ اللي عايزة تجيبيه استخسار و خلاص ! الاتنين ما يفرقوش عن بعض في حاجة، و بعدين أنا مش عالفلوس.. ممكن أجيب لك بيهم أي حاجة تانية، أنا معترض على المبدأ نفسه !

- اللي هو ؟

- اللي هو ده زي ده، يبقي نجيب الأرخص و بفرق التمن نجيب حاجة تانية

- حاجة تانية ايه اللي هانجيبها ب 30 ألف يا يوسف ! محبس مثلًا ؟ انت بتستعبط ؟

قالتها في حدة جعلت صوتها يعلو تدريجيًا

- زعقي زعقي، و لمي علينا الناس و افضحينا يا شهد !

- ولا أفضح ولا بتاع، نبقي نتكلم لما نوصل عندكم !

قالتها و هي تعقد ساعديها أمام صدرها، تزفر في ضيق و تضرب بقدمها الأرض بشكل متواصل.

انفتح باب المصعد ليخرجا منه الإثنان ..

تلفت العامل حوله في تلصص...أغلق باب المصعد..ثم أخرج من جيب بنطاله " نصف رغيف حاف " اغتصب منه قضمة..و أخذ يلوكها في تلذذٍ و نهمٍ شديدين، نظر لصورته في المرآه، شاب أسمر نحيل، يرتدي ملابس العمل التقليدية من بنطال كحلي اللون و قميص أبيض بدأ لونه يميل الى الترابي، و ربطة عنق قصيرة تبدو أقرب الى ربطة مهرجي السيرك، شعر مجعد بدأ اللون الأبيض في احتلال مساحات واسعة فيه..

كان على وشك انهاء ما كان يتناوله حينما أعلنت أصوات المصعد عن وصول وافدٍ جديد . .فأعاد ما تبقي من نصف الرغيف الى جيب سرواله في سرعة. .و مسح فمه بكم قميصه. .إعتدل في وقفته . .ثم ارتدي تلك الإبتسامة البلاستيكية على ملامحه من جديد. .

تمت في 26 يونيو 2014

"طبشور ملون"

في أحد الفصول المدرسية القديمة، ذات الجدران المتصدعة التي تملؤها الشقوق، و تساقط عنها معظم ما كان عليها من طبقات الدهان..

يجلس سبعون تلميذًا على واحدٍ وعشرين مقعدٍ خشبي متهالك..

ينهض أحد التلاميذ من مقعده، يتعلق ناظريه بإسمه المكتوب بطبشور ملون ذو لونٍ أحمر على السبورة السوداء، شذوذًا عن بقية الكلمات المكتوبة بالأبيض..

ينظر الى زملائه بملامحٍ تشي بالتضرع و الرجاء..

يسير الى نهاية الفصل في تباطؤ شديد..

يصل الى تلك النافذة على اليسارفي استسلام تام كالمنوم مغناطيسيًا ، يزحزح تلك التختة ناحية النافذة حتي تلتصق بالجدار، و من ثم يعتليها متجهًا ناحية النافذة وسط الصمت المطبق في المكان..

يحرك رأسه الى داخل الفصل موزعًا نظراته على أقرانه الساهمين في ترقب..

يفتح مصراعي النافذة، يداه تتلمسان جانبيها، ينظر الى السماء نظرةً أخيرة، قدم على حافة النافذة و القدم الأخرى بالداخل، ثم قدمان على الحافة...و يقفز...!

ينهض المعلم الجالس في مقدمة الفصل في هدوء، يذهب متجهًا الى النافذة، يلقي نظرةً باتجاه الشارع، يرفع حاجبيه في ملل، يغلق مصراعي النافذة المفتوحين، يزحزح التختة معيدًا إياها الى موضعه ا الأصلي، ينفض يديه و يتجه الى مقعده من جديد قائلًا :

– أكتبوا ورائي ما أمليه عليكم !

رد التلاميذ بطريقة آلية :

– حاضر يا أستاذ

ثم يبدأ المُعلم في الإملاء :

– " أنا أحب بيتي، أنا أحب شارعي، أنا أحب مدرستي، أنا أحب فصلي، أنا أحب علمي، أنا أحب وطني، في وطني..."

حينما تردد صدي صوت انكسار قلم رصاص ليقطع عليه إكمال تلك القطعة الإملائية..

نهض من مقعده رافعا ذقنه لأعلي متلفتًا ناحية الصوت حتي وقعت عيناه على أحد التلامذة في نهاية الفصل ينظر إليه في تحدٍ غير مسبوق، ثم ما لبث التلميذ أن ألقي ببقايا القلم المكسور أرضًا، ثم اقتطع من كراسته تلك الصفحة التي كان يكتب بها و كرمشها و ألقي بها من النافذة بجانبه و هو ينظر الى المعلم بنفس النظرة التي يملؤها التحدي.

هز المعلم رأسه آسفًا في عدم رضا مزيف ثم اتجه الى السبورة و كتب عليها إسم الطالب بالطبشور الملون ذو اللون الأحمر، تحت اسم الطالب الذي قفز منذ قليل ، ثم استدار مواجها الطالب موجهًا له نظرةً ذات مغزي ثم الى النافذة على يمينه.

نهض التلميذ من مقعده، تعلق ناظريه بإسمه المكتوب بالطبشو ذو اللونٍ أحمر على السبورة السوداء.

نظر الى زملائه بملامحٍ تشي بالإشمئزاز..

سار الى نهاية الفصل في تباطؤ شديد..

وصل الى تلك النافذة على اليسارفي استسلام تام كالمنوم مغناطيسيًا ، زحزح تلك التختة ناحية النافذة حتي التصقت بالجدار، و من ثم إعتلاها متجهًا ناحية النافذة وسط الصمت المطبق في المكان..

حرك رأسه الى داخل الفصل موزعًا نظراته على أقرانه الساهمين في ترقب..

فتح مصراعي النافذة، يداه تتلمسان جانبيها، ينظر الى السماء نظرةً أخيرة، قدم على حافة النافذة و القدم الأخرى بالداخل، ثم قدمان على الحافة...و يقفز...!

ينهض المعلم في هدوء، يسير متجهًا الى النافذة، يلقي نظرةً باتجاه الشارع، يرفع حاجبيه في ملل، يغلق مصراعي النافذة المفتوحين، يزحزح التختة معيدًا إياها الى مكانها الأصلي، ينفض يديه و يتجه الى السبورة هذه المرة قائلًا :

– مالهم لا يريدون كتابة تلك الجملة ! سوف أكتبها لكم هاهنا كتذكير و تحذير !

يبدأ في مسح الأسماء المكتوبة بالطبشور الملون، ثم يبدأ في كتابة شيء بخط كبير يملأ كل السبورة، يبتعد عن السبورة ليجلس على مقعده فتظهر الكلمات التي كتبها مليًا :

" في وطني نتنفس حرية "

تمت في 25 يونيو 2014

"بالأزرق الشفاف"

- لقد فعلها مجددًا !!

- اختفي؟

- نعم..

- هل بح..

- بحثت في جميع أنحاء المنزل !

- يا إلهي، لقد جن تمامًا..الى متي سيظل يفعل ذلك! ماذا يريد أن يثبت لنا !

- انه فقط غير متزن، أنتِ تعرفين، موت والدنا، و غيرها من الأشياء التي جعلته يفقد صوابه.

- و لما لم نخسر عقولنا أيضًا أنا و أنت ؟

- لبنى أنتِ تعرفين أنه..

- أعرف أعرف يا حاتم، كان أكثرنا تعلقًا بوالدنا..

و لكن هذا ليس مبررًا كي يجن جنونه، و يتفوه بكل تلك الأشياء الغريبة، هذا ضربٌ من العبث !

– .....

– ماذا سيقول الناس عنه ؟ ماذا سيقولون عنا ! ابن الأكابر،علم الكومي الطبيب النفسي الشهير قد أصبح مجنونًا مثل مرضاه !

قاطعها صوت شخص ثالث من خلفهما قائلًا في حدة :

– أنا لست بمريضٍ أو مجنون !

سرت رعشة في جسد لبنى لسماعها تلك الجملة و لكنها استدركت نفسها و أدارت رأسها ناحيته قائلة في سخرية :

– حقًا ؟ و ماذا عن الخرافات التي تطلقها من فمك كطلقات المدفع الرشاش ؟

– ليست بخرافات، و لن أسمح لكِ أن تتحدثي عني وراء ظهري !

– لا تقلق، قريبًا ستتحدث البلدة كلها عنك وراء ظهرك و في وجهك أيضًا !

قالتها و هي تعقد ساعديها أمام صدرها واضعة ساق على ساقٍ في تحد مثير.

– ليس من حق أحد أن يفعل ذلك ! ليس من حق أحد أن يشاهد و يتحدث، لست بمهرج البلدة هنا !

قالها و هو يتحرك مواجهًا لبنى ملوحًا بقبضته أمام وجهه

– علم، أنت من جعلت نفسك أضحوكة للناس، أنت من نصبت السيرك، و جعلت الجميع ينتظر العرض تلو العرض بفارغ الصبر..

أمك التي مرضت كمدًاعليك، اخوتك القلقون عليك، زوجتك التي طلبت منك الطلاق و رحلت هي و ابنتك الصغيرة، زملاؤك الذين يتهامسون عليك و يسخرون منك !

و مازال الجمهور في ازدياد مستمر، و التذاكر مجانية !

– تعديتِ حدودك يا لبنى !

قالها علم مقتربًا من لبنى الجالسة أمامه في هدوء، فنهض حاتم ليقف حائلًا بينهما ثم أمسك بكتفي علم قائلًا:

– علم يكفي! تعال لنتمش قليلًا بالخارج.

أمسك حاتم بذراع علم بقوة و اقتاده الى خارج الفيلا، الى الحديقة الخارجية.

- علم، أنت تعرف أن لبنى محقة.

- أنت أيضًا يا حاتم !

- علم اهدأ، أعرف أنك مررت بأوقات صعبة، كلنا كذلك، و لكنك يجب أن تتماسك كما فعلنا، أنت على حافة الهاوية، إذا لم تكن قد سقطت بالفعل !

حدجه علم بنظرة معاتبة دون أن يرد فاستطرد حاتم من جديد..

- أعرف كم كنت متعلقًا بوالدنا، و لكنه رحل، رحل يا علم !

و هناك من يزال حيًا و يحتاجك ! والدتنا، اخوتك، أنا و لبنى، زوجتك و ابنتك الصغيرة، عملك و زملاؤك، مستقبلك يا علم !

- يا إلهي، ليس ثانيًا!

- علم..

- أنت لاتفهم..

- بل أفهم، أعرف كم كان والدنا...

- والدنا والدنا، أنت لا تفهم أي شيء، الوضع لا يتعلق بوالدنا..

نعم أنا أفتقده و لكن ليس للدرجة التي تجعلني مجنونًا كما تدعون !

- إذن ما المشكلة ؟

- مشكلة ؟ و من قال أن هناك مشكلة ؟

- أنت لست على مايرام

- أنا في أفضل حال !

توقف حاتم عن السير ممسكًا بساعديّ علم ثم اقتاده جانبًا ناحية مرآه كبيرة معلقة في الحديقة، أوقفه أمامها، ثم وقف بجانبه هامسًا برفق:

- أنظر، أنظر الى نفسك، هل هذا الشخص الواقف أمامك على مايرام؟

هل هو في أفضل حال ؟ هل هو بلا مشاكل ؟

رفع علم عينيه ناظرًا لصورته في المرآة متأملاً نفسه من أخمص قدميه الى أعلي رأسه..

تأمل حذاءه المتسخ، و سرواله المهتريء، قميصه و قد اتسخت أكمامه و ياقته، و انقطع جزءًا من جيبه ليتدلي خارجه، السواد الجاثم تحت عينيه ووجهه الشاحب الذي برزت منه عظام وجنتيه، شعره الغير مرتب و ذقنه الغير حليقة التي انتشرت شعيراتها لتحتل المساحات المشعرة من وجهه في عشوائية.

أطرق برأسه في صمت فعاد حاتم الى الحديث من جديد قائلًا في رفق:

- يجب أن تكف..

- أكف عن ماذا ؟

- أن تكف عن ذلك الهراء المتعلق بالسماء..

نظر علم الى حاتم ثم الى صورته في المرآة ثم أغمض عينيه في صمت.

******

بعد قليل كان علم قد صعد الى الدور العلوي ليري والدته..

وصل الى غرفتها، دق برفق على الباب مرتين ثم دلف الى الداخل..

اتجه ناحية السرير الذي ترقد عليه والدته، جذب مقعدًا بالقرب من السرير، جلس إليه ناظرًا الى والدته التي حركت رأسها ببطء ناظرة إليه مبتسمة في صعوبة.

- علم.

- أمي...

قالها و هي يحتضن يدها بيديه مقبلاً إياها

- كيف حالك اليوم؟

- كما تري، أين كنت طوال تلك المدة؟

- كنت في العالم الم...

قاطعته قائلةً:

- أرجوك، أكذب على.

- كنت أعمل، كنت أعمل يا أمي.

لمعت عيناها ثم ترقرقت من عينها اليسري دمعة، كان يعرف علم مغزاها فاستطرد من جديد قائلًا:

- أمي، يومًا ستعرفين أنني محق، أنا...

- علم !

- أستطيع أن أجد حلًا لعلاجك هناك !

- علم اسكت، أرجوك!

أطرق علم برأسه و هو مازال ممسكًا يد والدته التي جذبتها بقوة لا تتناسب أبدًا مع وهنها، ثم أغمضت عينيها التي انسابت منها الدموع قائلة:

- أريد أن أستريح.

نهض علم من مقعده بالعًا ريقه في صعوبة، اقترب من والدته ليقبل رأسها فأشاحت بوجهها.

تراجع معتدلًا في وقفته قائلًا :

- حسنًا

قالها و خرج من الغرفه و عينا أمه تتابعه في صمت.

*****

*من مذكرات دكتور علم بتاريخ 4 يوليو 1974

"1"

يا إلهي !

لقد سافرت الى هناك من جديد !

السماء هناك . . .

ترتسم بالأزرق الشفاف . . !

***بعد مرور شهرين..**

بالأزرق الشفاف، هل تصدق ذلك الهراء ؟

قالها ذلك الشخص و انفجر ضاحكًا و هو يحاول عبثًا التوقف عن الضحك..

– اهدأ يا دكتور أمجد، انه هنا في المستشفى، لو سمعنا سنصبح في مشكلة !

قالها شخص آخر و هو يحاول كتم ضحكاته هو الآخر

– صدقني لا أستطيع، يا دكتور رفعت لقد صار أشد جنونًا من مرضاه !

انفتح باب الغرفة التي يجلسان بها ليدخل شخص ثالث قائلًا :

– علام تضحكان؟ أصواتكما ترج المكان بأكمله.

زم رفعت شفتيه قائلًا لأمجد في لوم :

– ألم أقل لك؟

- لا عليك يا دكتور رفعت، تعال يا دكتور شوقي سأخبرك.

جلس شوقي قبالتهما معدلًا من وضع معطفه الأسود، متحمسًا في شوق لسماع ما سيقوله أمجد

- ها، هات ما لديك !

- ألا تعرف ما جري منذ يومين ؟ الدكتور علم؟

أبدي الدكتور شوقي علامات عدم فهم فاستطرد الدكتور أمجد قائلًا :

- يبدو أنك لا تعرف، حسنًا، إليك ما حدث..

منذ يومين كان الدكتور علم هنا بالمستشفى، حلت نوبته ليلًا، و أنا و الدكتور رفعت أيضًا كانت نوباتنا بنفس الوقت، جلسنا ثلاثتنا في هذه الغرفة و قررنا أن نثرثر و نستمع الى بعض الموسيقي حتي ينقضي الليل ككل مرة، و لكن دكتور علم نهض فجأة و قرر أن يصعد الى الطابق الأعلي حيث الاستراحة ليأخذ قسطًا من النوم.

- و ما الغريب في ذلك؟

- اصبر على رزقك !

- حسنًا.

بعد أربع ساعات كانت الساعة قد قاربت على السادسة صباحًا، حينما وجدنا الدكتور علم يهرول إلينا هاتفًا بصوت عال يضج في أنحاء المستشفى :

" بالأزرق الشفاف ! بالأزرق الشفاف !"

كان أشعث الشعر أغبره، ملابسه متسخة، بفردة حذاء واحدة، و تلك النظرة الذاهلة في عينيه، حاولنا أن نهدىء من روعه، و أعطيناه شربة ماء ثم أجلسناه ليقص علينا ما به.

– و ماذا حدث بعد ذلك؟

– في البداية كان عاجزًا عن النطق و كأنه رأي شبحًا، أنت تعرف تلك النظرة التي يتميز بها مرضي الإنهيار العصبي، و بعد قليل بدأ الكلام متلعثمًا و من جديد أخذ يقول " بالأزرق الشفاف، بالأزرق الشفاف".

و بعد محاولات عدة لكي نفهم منه ما يعني فشلنا، نهضنا و تركناه جالسًا و في عينيه مازالت ترتسم تلك النظرة الذاهلة، و كأنه ينظر الى مكانٍ آخر، بُعدٍ آخر، شيئ آخر لا نراه نحن !

كنت أهم بخلع معطفي و ارتداء سترتي العادية، حينما سمعته يهمس من جديد

" بالأزرق الشفاف ! السماء هناك، ترتسم بالأزرق الشفاف!".

ثم نهض خارجًا من الغرفة و كأنه منوم مغناطيسيًا !

هل تصدق ذلك ؟

قالها أمجد و انفجر ضاحكًا من جديد مما جعل الدكتور شوقي ينفجر ضحكًا هو الآخر ثم تمالك نفسه قليلًا قائلًا :

– هل تمزح ؟

– أقسم بالله هذا ما حدث، فلتسأل دكتور رفعت، ها هو أمامك.

نقل شوقي بصره الى دكتور رفعت فقابلته إيماءة من دكتور رفعت تشي بالتأكيد على ما قاله دكتور أمجد

فرفع شوقي حاجبيه في ذهول موجهًا الحديث الى دكتور أمجد :

– يا إلهي، فصام؟

– بالضبط

– وفاة والده جعلته يصاب بلوثة، و يخترع عالمًا آخر يظن أنه يذهب إليه، ألم يقل " هناك" ؟

– نعم

– فعل ذلك هربًا من الواقع الذي يرفضه عقله، الواقع الذي لا يتحمله ولا يريد أن يقبله أبدًا، هذا شائع الحدوث بالطبع نتيجة لمثل

تلك الصدمات، و لكن الدكتور علم كان من أفضل الأطباء كفاءة و أكثرهم حنكة و حكمة، كيف يفقد عقله بتلك البساطة.

– دكتور شوقي، الفصام ليس بمرض السكري، لا يوجد هناك أسباب تجعلك تصاب به أو لا تصاب به، الكل معرض لذلك تحت أية ضغوط ممكنة، مهما كنت صلبًا أو حكيمًا.

– هذا صحيح، شيء محزن !

– و مضحك أيضًا

قالها أمجد و ارتج جسده من شدة الضحك حينما انفتح باب الغرفة ليدخل علم في هدوء حاملًا نظرات قلقة الى المكان، حياهم بإيماءة من رأسه ثم سار متجهًا الى شوقي قائلًا في خفوت :

– دكتور شوقي، كيف حالك؟

– بخير، و أنت؟

– بخير، اسمع، أريد أن أطلب منك خدمة صغيرة.

– بالطبع تفضل.

– نوبتي تنتهي بعد ساعتين، و لكنني أحتاج أن أغادر الآن، فهل يمكنك أن تحل بدلًا مني للساعتين القادمتين؟

– طبعًا، لا مشكلة.

- حقًا ؟

- نعم، لا تقلق بشأن ذلك.

- أشكرك، أشكرك بشدة.

قالها علم و هو يربت على يديّ شوقي بامتنان، ثم استدار مغادرًا الغرفة في خطوات سريعة.

- هل لاحظتم ذلك؟

قالها أمجد و هو يتابع علم الذي خرج لتوه من الغرفة بعينيه

- ماذا ؟

قالها شوقي في عدم تفهم، فقاطعه رفعت مشيرًا الى أمجد قائلًا:

- إنه يقصد قدمه اليسرى، منذ متى و دكتور علم لديه ذلك العرج بها ؟

******

*من مذكرات دكتور علم 8 أغسطس 1974

"2"

أعتقد أنني فتحت بوابةً أو شيء ما أثناء نومي بالخطأ . .

و اعتقادي أن تلك البوابة لن تظل مفتوحة الى الأبد . .

ستنغلق في يومٍ ما، و سأظل حبيسًا هنا أو هناك . .

سأحاول أن أعرف موعد انغلاقها . .يجب !

قبل فوات الآوان . .

أمام إحدى مدارس الأطفال، توقف علم بسيارته، ترجل منها مسرعًا الخطى نحو باب المدرسة الحديدي، أمسك قضبانه كالمساجين، نظر في ساعته مليًا، ثم نقل بصره الى داخل أروقة المدرسة في شغف..

مرت بضعة لحظات و هو مازال على تلك الحال ينقل بصره بين ساعة يده و بين أروقة المدرسة، حتي اشتعلت عينيه بريقًا و امتلأت ملامحه بالسرور و البشر..

كانت عيناه مثبتتان على تلك الفتاة الصغيرة القادمة من أحد أروقة المدرسة الأمامية، لا يتعدي عمرها الخمس سنوات، ذات شعر أسود فاحم، قصير مموج، عينان سوداوان واسعتان و بشرة وردية.

انفتح باب المدرسة الرئيسي لتخرج منه مهرولة نحو علم الذي جثا على ركبتيه أمامها فاتحًا ذراعيه على اتساعهما..

- أبي، أبي، افتقدتك كثيرًا.

- و أنا آيضًا يا بنيتي..كثيرًا كثيرًا ..

قالها و هو يحتضنها في قوة يكاد يعتصرها، ثم أبعدها عنه في رفق قائلًا:

- أنظري الى نفسك ! لقد كبرتِ كثيرًا !!

- إذن هل يمكنني أن أتزوج الآن؟

ابتسم علم لقولها، ثم رد عليها مداعبًا وجنتها اليمني :

- بالطبع، ستكونين أجمل عروس !

- و سأرتدي فستانًا أبيضًا؟

- نعم، و سترتدين فستانًا أبيضًا !

- و ستصفقا لي أنت و أمي ؟

أطرق علم برأسه صامتًا بضعة لحظات ثم رفع رأسه مبتسمًا في ذبول قائلًا:

- نعم.

- أبي، أين كنت ؟

- هذه قصة طويلة يا بنيتي، و لكن يمكنك القول أنني كنت مسافرًا.

- أمي تقول غير ذلك.

- ماذا تقول أمك ؟

- تقول أنك جننت، و أنك تتخيل أشياءً غريبة.

- أنا لست مجنونًا يا بنيتي، أنا فقط أسافر..

- الى أين؟

بعينين حائرتين أمسك علم بكتفيها في رقة قائلًا :

- لا أعرف كيف أشرح لكِ عزيزتي، و لكنني أسافر الى عالم آخر، عالم يشبه عالمنا ، و لكنه ألطف كثيرًا، أتعرفين، السماء هناك ترتسم بالأزرق الشفاف.

رفعت ابنته رأسها ناظرةً الى السماء ثم نظرت مباشرة في عينيّ والدها قائلةً :

- أزرق؟

- نعم، أزرق.

- و ماذا أيضًا هناك ؟

- هناك شمس وا.....

قطع جملته صرير إطارات سيارة تتوقف بجانبه، لتترجل منها سيدة تبدو في الثلاثينيات من عمرها، ترتدي سروالًا من الجينز و بلوزة بيضاء صوفية، تضع نظارة شمسية سوداء قاتمة، اقتربت منهما في خطوات سريعة، أمسكت بيد الطفلة في قوة قائلةً:

- ناردين، الى السيارة الآن.

نقلت ناردين بصرها بين السيدة و بين أبيها فاستطردت السيدة

هاتفة في قوة:

- قلت الآن !

أومأ علم الى ناردين برأسه ثم احتضنها للحظات تاركًا إياها تذهب الى السيارة مطأطأة الرأس، و قبل أن تستقل السيارة حانت منها إلتفاتة نحو أبيها الذي ودعها مشيرًا بيده في رفق، ثم اعتدل واقفًا بصعوبة أمام السيدة الواقفة أمامه قائلًا:

- كيف حالك يا دنيا؟

- ما الذي أتي بك الى هنا؟

- جئت لأري ابنتي!

- أم جئت لتختطفها؟

- هل جننتِ ! كيف أختطف ابنتي !

- لا تبدأ في الحديث عن الجنون، أنت تعرف ماذا أقصد بالطبع !

- دنيا ! لا تبدأي !

- علم ! إذا أردت رؤية ابنتك فلتبلغني قبلها ! و أنا من أحدد وقتها كيف و أين و متي تراها ! و إلا أقسم بالله سأجعلك..

- لا داعي، أعرف، والدك، المستشار العظيم، نيابة، سجن، وراء الشموس..

- جميل أنك تعرف جيدًا ما أنا قادرة على فعله !

- شكرًا..

- العفو !

قالتها و استدارت عائدة الى السيارة في خطوات سريعة، استقلتها، أدارت المفتاح و هي تتحدث مبتسمة مع ناردين التي أشارت بإصبعها الصغير ناحية السماء..

ثم فجأة توقفت السيدة عن الابتسام، استدارت ناظرة الى علم، يتطاير من عينيها الشرر، ثم ترجلت من السيارة متجهة إليه في خطوات تشي بالغضب.

- أقسم أنني سأقتلك.

قالتها صارخة و هي تشير بيديها في حركات عصبية

- .....

- لا تملأ عقل البنت بتلك الترهات!

- أية ترهات ؟

- تلك الترهات ! عن السماء و الشمس و القمر !

- انا لم أخبرها عن القمر.

قالها علم في براءة و هو يهز كتفيه

– علم ! لا مزيد من ألعابك السخيفة ! اذا تفوهت بتلك الترهات مرة ثانية أمام ناردين فاعلم أنك لن تراها مجددًا ! أبدًا ! هل تفهم !

– .....

– أحمق!

قالتها و نكزته بقوة في كتفه بمفتاح السيارة الذي تحمله بيدها.

استقلت سيارتها من جديد و أدارت مفتاحها قائلةً لناردين بضحكة مصطنعة :

– ما رأيك أن نتناول الآيس كريم؟

– حسنًا يا أمي....

******

*من مذكرات دكتورعلم بتاريخ 12 أكتوبر 1974 "3"

في رحلتي الثالثة اكتشفت أشياءً أكثر في العالم الموازي..

كما قلت في مذكراتي السابقة، السماء هناك ترتسم بالأزرق الشفاف..

لديهم شمس و قمر..

الطقس ألطف نوعًا ما..

البشر مثلنا، و لكنهم أقل تحفظًا و أكثر ودًا، عمومًا لم أحاول الإختلاط بهم كثيرًا لكي لا ينكشف أمري.

للأسف تعرضت قدمي اليسري لإلتواء طفيف نتيجة سقوطي عليها من ارتفاع ثلاثة أمتار..

فأنت حينما تسافر بتلك الطريقة الى العالم الموازي، لا تضمن أين ستهبط، على الأقل لم أتعلم طريقة آمنة بعد..قد تهبط على سرير، على الأسفلت، في بحر أو نهر، أو من ارتفاع شاهق..

أعتقد أن الحظ يقف في صالحي حتي الآن..

أنا لا أتعمد السفر الى هناك..ولا أعرف كيفية الرجوع الى هنا

أنا فقط أنام، و فجأة أجد نفسي هناك..و بالمثل أنام هناك و فجأة أجد نفسي هنا..

سأحاول أن أجد طريقة ناجحة كي أسافر وقتما أشاء..

***بعد مرور عدة أيام..**

كان دكتور علم يجلس وحيدًا في استراحة الأطباء بالمستشفى التي يعمل بها، يكتب بعض التقارير المتأخرة، حينما دخل الدكتور شوقي الغرفة.

- صباح الخير دكتور علم.
- صباح الخير دكتور شوقي.
- كيف حالك ؟
- بخير، و أنت ؟
- في أفضل حال.
- أود أن أشكرك.

- علام؟

- بشأن ذلك اليوم.

ظهرت علامات عدم الفهم على وجه الدكتور شوقي فاستطرد علم مكملًا :

- النوبة، الساعتين. !

- اه، لا داعي للشكر، لم أفعل أي شيء.

- لا صدقني أنا ...

>> كفرة !، أنتم كفرة ! كلاب ! ..اتركوني..اتركوني.. فلينقذني أحدكم ! يا إلهي !<<

قاطعه ذلك الصوت القادم من خارج الغرفة فنهض ليستبين ماذا يحدث من خلف النافذة الزجاجية للغرفة..

كان مشهدًا مؤذٍ بحق..

أحد المرضى الموجودين بالمكان، يساق بواسطة ثلاثة ممرضين، يكبلون ساعديه في قوة، و هو يحاول التملص منهم بلا فائدة، يدفعونه بقسوة ناحية إحدى الغرف المدون على اللافتة أعلاها " غرفة العلاج بالكهرباء ".

- ما هذا !

قالها علم و علامات الذهول و الغضب ترتسم على ملامحه

– آه، انه سمير، أحد مرضى الفصام، يفعل ذلك كلما حان موعد جلسة العلاج بالكهرباء كل يوم منذ ستة أشهر، مريض عنيد، و المشكلة أن حالته تزداد سوءًا !

– طبعًا ستزداد سوءًا ! حمقي !

لم يفهم دكتور شوقي ما يعنيه علم و كاد أن ينطق بشيء إلا أن علم غادر الغرفة في سرعة متجهًا الى المريض الذي اقتيد الى غرفة الكهرباء منذ ثوان قليلة.

وصل الى الغرفة فوجدهم قد قيدوه من رأسه الى أخمص قدميه الى السرير، و تم تكميم فمه و توصيله بعدة أجهزة، يقف بجانبها أحد الممرضين الثلاث على وشك صعقه بالكهرباء لعلاجه.

– توقف ! توقفوا أيها الحمقي ! أيها الأغبياء !

ارتسمت علامات الذهول على الممرضين الثلاث و الطبيب المشرف المرافق لهم الذي سرعان ما استدرك ما يحدث، معدلًا عويناته الطبيه فوق أنفه في ارتباك قائلًا :

– من فضلك أنت يا دكتور علم ! أنت طبيب محترم و أنا آيضًا و لا يصح ما تفعله و تتفوه به !

– ماذا تفعل ! ماذا تفعلون بسمير !

– كما تري، نعالجه بالصعقات الكهربائية، المريض مصاب بفصام من الدرجة ال....

– المريض ليس مصابًا بالفصام أيها الجهلة !

– ماذا ؟

– أنا من كتبت تقرير دخوله المستشفى، هو فقط مصاب ببعض الإكتئاب و كان من المفترض أن يقضي هنا أسبوعين كنقاهة ليس أكثر و يخرج، و عرفت الآن من الدكتور شوقي أنكم تفعلون به هذه الجريمة منذ ستة أشهر !

– أنا لا أفعل إلا المكتوب في التقرير يا دكت....

– أحمق، أرني ذلك التقرير !

تناول علم التقرير من الطبيب الآخر متفحصًا إياه في اهتمام، ناظرًا الى أسفل التقرير في ارتياع.

– هذا ليس توقيعي ! هذه التقرير مزور، ليس ذلك هو التقرير الذي كتبته !

– هل تمزح ؟

– أنا لا أمزح، أنا أحتفظ بنسخة من التقارير التي أكتبها في خزانتي الخاصة... انتظر !

اختفى الدكتور علم و ظهر بعد قليل ممسكًا ببعض الأوراق في يديه، اقترب من الطبيب الآخر مشيرًا الى إحدى الأوراق في يديه قائلًا :

– أنظر هاهنا...هاهو اسم المريض، سمير زايد، التشخيص : اكتئاب طفيف، خروج بعد اسبوعين..بتاريخ 14 أبريل !

أي منذ ستة أشهر تقريبًا ! و هذا هو توقيعي الصحيح بالأسفل ! أتري !؟

– يا إلهي، فكوا وثاقه، فكوا وثاق المريض، هيا !!

قالها الطبيب صارخًا في وجه الممرضين الثلاث الذين تسابقوا على فك وثاق المريض فور سماعهم صراخه.

اقترب علم منه مزيلًا الكمامة العالقة بفمه، التي فور أن خلعها حتي سعل المريض بشدة ثم أمسك يد الدكتور علم بيديه التي تحررتا و أخذ يقبلها بقوة حتي سحبها علم في سرعة مربتًا على رأس المريض الذي أخذ يبكي قائلًا :

– شكرًا لك، شكرًا لك، كنت سأموت، كانوا على وشك قتلي، شكرًا، أنا ممتن جدًا لك.

– لا داعي لشكري، و ما حدث لن يمر مرور الكرام ! انهم حفنة من الأوغاد، ينبغي أن أعرف كيف حدث ذلك و لماذا !

- أنا أعرف..

- ماذا ؟ أخبرني، ماذا تعرف ؟

- فعلوا ذلك بمعرفة زوجة أبي الراحل، انها مشاكل تتعلق بالميراث، سأقتلها حين أخرج !

- سمير، بشأن ذلك، لن تستطيع الخروج الآن..

- ماذا ؟

- لا تقلق، تستطيع إذا شئت، و لكن أرجو منك أن تبقي أسبوعًا واحدًا بعد، تحت اشرافي، كي تتخلص من آثار ما فعلوه بك هؤلاء الحمقي، نحن لا نعرف بعد ما دسوه لك من أدوية و عقاقير، و لا نعرف آثارها الجانبية.

- يا إلهي !

- لا تقلق، سأجري لك بعض التحليلات، و سنطمئن، و سنقوم ببعض التحقيقات لنعلم من المتورط في هذا الحادث، انها جريمة ! بعدها تخرج كما تريد.

- حسنًا، و لكن أرجوك قم بذلك بأقصي سرعة، هذه المستشفى فعلًا للمجانين، و لكن ليس المرضى، إنهم الأطباء !

*****

*من مذكرات دكتور علم بتاريخ 9 نوفمبر 1974

"4"

في رحلتي الرابعة سجلت ملاحظاتي على العديد من الأشياء المهمة..

في البداية، في أولى رحلاتي اعتقدت أنني أسافر في الزمن، الى المستقبل، تبعًا لاختلاف التواريخ بين العالمين..

و لكنني اكتشفت أنني أسافر الى بعدٍ آخر..

اكتشفت ذلك بعد دراسة تاريخهم في المئة سنة الماضية هناك، و هو لا يشبه تاريخ عالمنا في شيء..

من الملاحظات المهمة أيضًا التي يجب تسجيلها كالآتي:

1- في رحلتين من رحلاتي سافرت معي الى هناك بعض الوسائد وشراشف الملاءات التي كنت نائمًا إليها هنا، أعتقد أن ما ألامسه يسافر معي، جيئة و ذهابًا، و إلا كنت سأصل هناك عاريًا بالطبع !

سأجرب اصطحاب أشياءٍ أكبر معي في المرة القادمة، ربما أجرب كائنًا حيًا.

-2 لم أتوصل بعد للطريقة التي تجعلني أسافر وقتما أشاء و أهبط أينما شئت، و لكنني أعتقد أن الأمر متعلق بحركة الكواكب و النجوم، أحتاج أن الى دراسة الأمر أكثر كي لا أتسبب لنفسي في كارثة.

-3 الزمن هناك يختلف قياسًا عن الزمن هنا، بمعني، إذا سافرت الى هناك فلنقل لمدة سبعة أيام، حينما أعود أجدني قد غبت تقريبًا سبع ساعات فقط !

-4 من الجيد أنني حينما أعود الى هنا، أهبط في نفس النقطة التي سافرت منها.

-5 الملاحظة الأخيرة و الأهم و هي ملاحظة مخيفة، أتمني أن أكون مخطئًا فيها، أعتقد أنني رأيت شخصًا يشبهني هناك...

******

عاد علم ذلك اليوم الى البيت مجهدًا و محملًا بعبء ما حدث بالمستشفى..

دخل الى الفيلا فلم يجد أحدًا من اخوته، صعد الى غرفه والدته ليطمئن عليها و لكن لم يجدها !

غادر الفيلا غاضبًا متجهًا الى الحارس الذي يجلس خارجها

- عزب ! عزب !

- دكتور علم، كيف حالك ؟

قالها الحارس ببرود مستفز.

- أين ذهبوا ؟

تململ عزب معتدلًا في جلسته، ارتشف قليلًا من كوب الشاي الذي يحمله ثم نظر بعيدًا الى اللاشيء قائلًا ببروده السابق :

- ألم يخبروك؟

- و لم سأسألك ان أخبروني !

- هذا صحيح.

قالها و ارتشف من كوبه من جديد.

- أين ذهبوا ؟

قالها علم بنفاد صبر.

نظر له عزب من أخمص قدميه الى أعلي رأسه و لم يرد، قرب كوب الشاي من فمه ليرتشف منه من جديد حينما اقترب منه علم في غضب ضاربًا الكوب بيده بعيدًا لينكسر أرضًا، ثم أمسكه من تلابيبه مهددًا :

– انطق أيها الأحمق، و إلا أحلتك أشلاءً مثل ذلك الكوب، أين ذهبوا

شلت المفاجأة عزب الذي لم يعتد مثل تلك التصرفات من الدكتور علم الهادىء دائمًا، لم يعرف كيف يرد، كاد أن ينطق حينما عاجلته لكمة من الدكتور علم وجهها لأنفه الذي سالت الدماء منه في غزارة.

– سأقول، سأقول، لقد ذهبوا الى المستشفى !

– لماذا ؟

قالها علم و هو مازال ممسكًا بتلابيب عزب في قوة.

– تدهورت حالة والدتكم، فذهبوا بها الى المستشفى.

– أية مستشفى؟

- السلام، مستشفى السلام.

أفلته علم متجهًا الى سيارته، أدارها و انطلق الى وجهته.

******

بعد نصف ساعة كان قد وصل الى المستشفى، اتجه الى مكتب الاستقبال فور دخوله

- لو سمحت، غرفة السيدة هدى وجيه، أعتقد أنها وصلت منذ قليل.

ناظرًا له، ضغط موظف الاستقبال عدة أزرار في الحاسوب أمامه ثم رد قائلًا :

- إنها بالدور الثامن، غرفة 7، العناية المركزة..

- ماذا ؟ العناية المركزة !؟

قالها و انطلق مسرعًا باتجاه المصعد.

بعد قليل كان قد وصل أمام غرفة والدته، و وجد حاتم و لُبنى يجلسان هناك.

- ماذا حدث؟

قالها علم واضعًا يديه على زجاج الخارجي لنافذة الغرفة، مراقبًا والدته التي ترقد على السرير بالداخل، متصلة بها أجهزة التنفس الصناعي و بعض الأجهزة الأخرى.

- ساءت حالتها، فجئنا بها الى هنا.

قالها حاتم مطرقًا برأسه الى الأسفل.

- و لما لم يتصل بي أحد؟

تبادل حاتم و لُبنى النظرات دون أن ينطق أحدهما بكلمة فاستطرد علم قائلًا بنبرة حادة :

- هي السبب ؟ قالك لك لا يجب أن نخبر أخينا المجنون؟ أليس كذلك يا حاتم؟

- علم، أرجوك..اخفض صوتك، نحن بمستشفى، لسنا بالمنزل.

- احترامًا لوالدتي الراقدة بالداخل سأصمت ! و لكن..

قاطعه صوت أنثوي يأتي من خلفه قائلًا :

- أنا آسفة..لدي أخبار سيئة.

استدار علم مواجهًا ذلك الصوت، كانت طبيبة في أوائل الثلاثينيات من عمرها.

- ماذا تقصدين ؟

قالها علم و الهلع يرتسم على وجهه ناقلًا بصره بين الطبيبة أمامه و أمه الراقدة بالداخل.

- لا أظنها ستنجو..

- ماذا ؟

- لقد دخلت في غيبوبة عميقة..ولا أعتقد أننا ..

- لا..لا...هذا غير ممكن !

- من فضلك، يجب أن تهدأ، أنت تعرف أن هذا المرض فتاك.. والدتكم ليست ضحيته الأولي، و لن تكون الأخيرة.

- انه مرض تافه، يمكن علاجه بسهولة !

- هل أنت طبيب ؟

- هو طبيب، و لكنه طبيب نفسي.

قالها حاتم مجيبًا على سؤال الطبيبة.

– أستطيع أن أنقذها..أستطيع أن أعالجها..فقط أعطوني بعض الوقت.

– دكتور علم، كيف ؟

– أستطيع أن آخذها معي الى هناك.

عقدت الطبيبة حاجبيها في عدم فهم ناقلة بصرها بين حاتم و لُبنى التي خبأت وجهها بيدها قائلة:

– يا إلهي..هانحن نبدأ من جديد، لا تفعلها أمام الناس أرجوك.

– ماذا تقصد دكتور علم ؟ هناك أين ؟

– لا عليكِ يا دكتورة، هو فقط متعب، عذرًا .

قالها حاتم ممسكًا علم بقوة وهو يقتاده مبتعدًا به عن المكان، إلا أن الأمر لم يكن بتلك السهولة.

لم يتحرك علم قيد أنملة برغم محاولات حاتم المستميتة في تحريكه و جذبه بعيدًا ، ثم تخلص علم من أيدي حاتم الذي كان يحاول التمسك به في ضراوة.

– أنا لست متعبًا ! اتركني أيها الأحمق !

قالها علم صارخًا، ثم استدار مواجهًا الطبيبة قائلًا :

– دكتورة.....؟

– نهي، دكتورة نهى.

– أنظري يا دكتورة نهى، أنا أستطيع أن أنقذها، باختصار..أنا باستطاعتي الذهاب الى مكان تتوفر فيه إمكانيات طبية و علمية أفضل من تلك الموجودة هنا، و أستطيع أن آخذها معي الى هناك و أنقذها.

نظرت الطبيبة إليه متشككة ثم نقلت بصرها الى حاتم الذي هز رأسه رافضًا مشيرًا الى علم من وراء ظهره إشارة تدل على جنونه.

– أخشي أننا لا نستطيع ذلك يا دكتور علم.

قالتها الطبيبة مبتعدة عن علم الى الوراء.

– آسفة، لا أستطيع، فقط حاول أن تهدأ قليلًا، أعتقد أنك بحاجة الى بعض الراحة، كثرة التفكير أتعبتك.

– هل تظنينني مجنونًا !

قالها علم مقتربًا من الطبيبة التي أخذت في الابتعاد عنه سائرة الى الخلف.

– أرجوك دكتور علم، أنا فقط طبيبة و لا دخل لي بكل ذلك.

كان علم قد اقترب أكثر من الطبيبة حينما وجد من يمسك

بساعديه من الخلف بقوة، استدار برأسه للخلف ليجد ممرضين يقتادانه بعيدًا عن الطبيبة و عن ذلك الرواق الذي يقف فيه.

حاول التملص منهما بلا فائدة صارخًا :

– اتركاني ! أستطيع أن أنقذها ! أعطوني بعض الوقت، سآخذها الى هناك !

مرضها ليس بخطير هناك ! أستطيع أن أعالجها !

اتركوني آخذها الى هناك، أرجوكم، أرجو...

لم يكمل علم جملته لأنه شعر بوخز محقن في كتفه الأيمن و من ثم غامت الدنيا في عينيه حتي اسودت تمامًا..

*****

فتح علم عينيه ببطء ليجد نفسه في غرفة بيضاء ضيقة نسبيًا، لا يوجد بها الكثير من الأثاث، فقط السرير الذي وجد نفسه نائمًا عليه.

حاول النهوض من رقدته ليجد نفسه مقيدًا من معصميه، رسغيه، رقبته و قدميه الى السرير.

حاول أن يفتح فمه ليصرخ ليجده مكممًا مما أثار جنونه.

كان يحاول أن يتملص من قيوده و لكن بلا فائدة، مرت بضع دقائق حتي سمع صوت فتح المزلاج الخارجي للباب و من ثم انفتح الباب في بطء ليظهر أمامه الطبيبين أمجد و رفعت.

اقترب أمجد منه حاملًا بيده ملفًا فتحه ليقرأ بعض الأوراق فيه بتركيز شديد، ثم نظر الى علم من فوق عويناته الطبية قائلًا:

- ها، كيف حالك الآن؟ أفضل ؟

- هممممممم.

كان علم يحاول أن يتكلم و لكن بفضل الكمامة التي تحيط بفهم فإن كلماته تحولت الى همهمات غير مفهمومة مما أثار غضبه ثانيًا و دفعه الى محاولة التملص من قيوده من جديد.

- أري أنك مازلت في حال سيئة.

قالها أمجد ببرود مستفز و هو يكتب شيئًا في الملف الذي بين يديه ثم استطرد و هو ينقل بصره بين الملف و بين علم قائلًا :

– سأكتب لك بعض الأدوية، و جلسات كهرباء أسبوعية، حتي تتخلص من الفصام الذي أصابك، و نوبات الغضب تلك.

اتسعت عينا علم فور سماعه ما قاله أمجد، و حاول التملص من قيوده و لكن بلا فائدة، حاول أن يقول شيئًا و لكن كلماته تحولت الى همهمات مبهمة من جديد.

– إنه يسبك يا دكتور رفعت، أسمعت ؟ سأسجل ذلك السلوك العدواني.

لم يرد رفعت و إنما نظر لأمجد متوجسًا ثم نظر الى علم للحظة ثم تحاشي النظر إليه بعد أن رآه ينظر إليه بطريقة مخيفة.

– حسنًا، جلستك الكهربائية بعد...

قالها أمجد و هو ينظر الى ساعته ثم أكمل قائلًا:

– بعد دقيقتين من الآن....أتمني لك إقامة ممتعة معنا هنا، لمدة سنة عالأقل، أراك لاحقًا.

قالها أمجد ثم غادر الغرفة هو و رفعت ليدخل بدلًا منهما ممرضن ضخمين الجثة متجهين ناحية علم.

*****

بعد مرور شهرين...

كان علم يجلس في فناء المشفى على احدى الآرائك الحديدية المثبتة الى الأرض، مقيد اليدين و القدمين بقيود حديدية.

كان يسند رأسه على كتفه الأيمن، ينظر الى اللاشيء بعينين زائغتين، رفع يديها ليحك ذقنه و قد استطالت و أصابها الإهمال، ثم هرش رأسه التي انسدل شعره الغير مرتب ليغطي أغلبها.

- تعرف، أنت الذي فعلت ذلك بنفسك.

قالها حاتم الجالس بجانبه على الأريكة الحديدية، سحب نفسًا من سيجارته ثم أكمل من جديد :

- ظللت تردد تلك الترهات أمام جميع الناس.

سحب نفسًا آخر من سيجارته ثم ألقي نظرة أخيرة عليها و ألقي بها على الأرض ساحقًا إياها بحذائه في قوة، ثم أكمل ثانيًا :

- كان يجب أن تحتفظ بتلك الترهات لنفسك.

زم شفتيه و هو يعدل من ربطة عنقه قائلًا :

- ماتت أمك كمدًا عليك، و لم يكن حتي بإمكانك أن

تودعها، لا أعرف إن كان ذلك ضربًا من الجنون أو الغباء.

قال جملته الأخيرة ناظرة الى لافتة المشفي الكبيرة "مستشفى الحياة للأمراض النفسية و العصبية".

– يجب أن أغادر، أنت تعرف أن وقتي ضيق.

قالها و نهض معدلًا من هندامه ثم ارتدي نظارته الشمسية، ربت على كتف علم في برود و استدار مغادرًا.

– أخرجني من هنا.....

قالها علم بصوت مرتعش فاستدار حاتم على إثر الصوت مواجهًا علم، خلع نظارته جزئيًا ناظرًا إليه دون أي رد فاستطرد علم من جديد بنفس صوته المرتعش قائلًا :

– لا أطيق العيش هنا، انها المرة الأولي التي أخرج فيها من غرفتي، إنها ليست غرفة..إنها...إنها حبس انفرادي..أفعل بها كل شيء..آكل، أشرب، أنام، أقضي حاجتي، يتم تعذيبي.

– تعذيبك؟

قالها حاتم رافعا حاجبيه، مزيلًا نظارته الشمسية بالكامل من على عينيه.

– نعم، يتم صعقي بالكهرباء مرتين يوميًا يا حاتم، ذلك الى جانب الضرب و السحل.

– آه، الكهرباء، أنت تعرف أن ذلك لعلاجك، و ليس تعذيبك.

– حاتم أنت لا تفهم شيئًا، انهم وحوش، و كأنني في أحد أفلام الرعب الكلاسيكية !

حتي لو كنت مريضًا لا ينبغي معاملتي بتلك الطريقة المهينة، حاتم يجب أن تخرجني من هنا !

بدا على ملامح حاتم التأفف لما يسمعه من علم عاقدًا ساعديه أمام صدره، ثم هرش أذنه قائلاً :

– علم، إذا تخلصت من تلك الأوهام العالقة بذهنك، تأكد أنك ستخرج من ذلك الباب بدون أي مشكلة.

قالها مشيرًا بيده الى باب المشفي الرئيسي بسبابته.

– حاتم أرجوك!

قالها علم و هو يحاول النهوض من جلسته ليتحرك ممرضان ضخمان متجهين بسرعة ناحيته ليرفع حاتم يده مشيرًا لهما بالتوقف.

– علم، كل ما أستطيع فعله أن أوصي بنقلك الى غرفة أخرى، و أن تتم معاملتك بطريقة أفضل قليلًا.

قالها حاتم راسمًا مساحة وهمية بين سبابته و إبهامه، ثم أكمل قائلًا :

–أما الباقي فبيديك أنت، أخرج تلك الديدان من رأسك، تمام ؟

نظر له علم في يأس ثم نظر الى الممرضين الواقفين وراءه، ثم جلس مطرقًا برأسه في استسلام، ثم قال من دون أن يرفع رأسه :

– أريد أن أري ابنتي . .قبل أن أمضي . .

****

*من مذكرات دكتورعلم بتاريخ 17 يناير 1975

"5"

تعلمت الكثير عن السفر للعالم الموازي في الشهرين الماضيين.

الآن أعرف كيف أسافر و كيف أعود.

أعرف أنه لم يتبق لي إلا تسعة أيام فقط حتي تنغلق البوابة لمدة ألف و مئتين سنة قادمة.

مازلت لم أعرف إن كان بإمكاني أن أصحب كائنًا حيًا معي الى هناك أم لا..

قابلت شبيهي للمرة الثانية هناك، ذهبت الى إحدى المستشفيات لأعالج الرضوض و الكدمات التي أصبت بها جراء تعذيبي هنا، فوجدته في غرفة الإستقبال منتظرًا دوره.

لم يلحظ الشبه الذي بيننا في البداية بسبب الرضوض و الكدمات التي بوجهي، شعري و ذقني المهملان، وزني الذي فقدت الكثير منه، و نظارتي الشمسية التي كنت أرتديها، و لكنني أريته فيما بعد كم نشبه بعضنا كثيرًا و كأننا توأمين.

عرفت أنه مصاب بمرض خطير هناك، لا يوجد في عالمنا، على الأقل ليس بعد.

مرضه يسمي بالسرطان، يقول أن المرض تمكن منه تمامًا و وصل الى مراحله الأخيرة و لم يتبق له في الحياة غير أيام قليلة.

رأيت زوجته و ابنته الصغيرة معه ذلك اليوم، كم يحبانه كثيرًا، بالأخص ابنته، متعلقة به بشدة.

اتفقنا أن نتقابل ثانيًا بعد يومين، يقول أنه يريد أن يبرم معي صفقة العمر.

*****

بعد بضعة أيام كان علم يجلس في فناء المشفى في نفس البقعة إياها و لكن بدون قيود هذه المرة.

كان ينقل بصره بين أنحاء المشفى حينما وقع بصره على شخصٍ ما يمشي متعثرًا في في الفناء يحدث نفسه، ارتاع علم لما رأى فنهض ملتاعًا يناديه :

– سمير ! سمير !

رفع سمير بصره ناحية علم متوجسً ثم استمر ماضيًا في طريقه و كأنه لم يسمع شيئًا.

اقترب علم منه ممسكًا برسغه في قوة هاتفًا في غضب :

– سمير ! ماذا بك؟

– اتركني..

– لماذا لا تزال هنا ؟

– بسببك..

– بسببي أنا ؟ لقد حاولت إخراجك، و قمت بتمرير القرار بالفعل !

– هذا صحيح، و لكنهم بعد أن جاؤوا بك الى هنا، قاموا بتزوير كل شيء من جديد، ثم ضاعفوا ما كانوا يفعلونه بي سابقًا، و كأنهم

يعاقبونني، و كل هذا بسببك !

– سمير اهدأ، لا تقلق، سوف أخرجك !

– هل تمازحني ؟ أخرج نفسك أولًا !

قالها سمير بنغمة ساخرة.

– أقسم لك سأفعل، سنخرج من هنا سويًا، في خلال أسبوع، و لن نعود هنا مطلقًا.

– كيف؟

– سأخبرك لاحقًا، و لكنني أحتاج الى مساعدتك.

– ماذا تريد؟

– أريد فأرًا

– ماذا؟ هل جننت؟

قالها ضاحكًا بصوت عالٍ ثم أكمل قائلًا :

– لابد أنهم عبثوا بعقلك كما عبثوا بعقلي، يالهم من جبابرة !

– سمير، اهدأ، فقط ثق بقي، أحتاج الى تجربة شيءٍ ما، و لكنني أريد فأرًا أولًا، و لكن اسمع، لابد أن تفعل ذلك قبل مساء غدٍ، هل تستطيع ذلك؟

- سأرى ما يمكنني فعله !
- اه، شيء آخير، أريد الفأر حيًا، و ليس ميتًا . . .

قالها علم و هو يغمز لسمير بعينه ثم استدار مغادرًا . .

*****

في عصر اليوم التالي التقي سمير بعلم في فناء المشفى، ثم جلسا سويًا الى تلك الأريكة إياها

– لم أستطع أن أجلب لك فأرًا.

قالها سمير ناظرًا حوله في حذر.

– ماذا؟ هل تمزح ! قلك لك أنني أر.....

– فقط انتظر، لم أجلب لك فأرًا، و لكنني جلبت لك هرة، هي بالأحرى وليدة، عمرها لم يتعد الأسبوع ربما، هل تصلح لتجربتك ؟

– تصلح، بل أكثر من رائعة، هي حية صحيح ؟

– نعم، ها هي.

قالها سمير و هو يخرجٍ هرة صغيرة تموء في ضعف من داخل معطفه الذي يرتديه، مناولًا إياها لعلم الذي تناولها في حرص شديد مواريًا إياها بين ثنايا معطفه هو الآخر.

– شكرًا لك، غدًا أخبرك ان كنا سنغادر سويًا أم لا.

– حسنًا.

قالها و هو ينهض مغادرًا ثم أكمل من جديد قائلًا :

- فقط....فقط لا تقتلها، حسنًا؟

- لن أقتلها، لا تخف، سأعيدها لك ثانيًا إذا تمت التجربة بنجاح.

- يا إلهي، لا أود أن أعرف ماذا ستفعل بها.

*****

*من مذكرات دكتورعلم بتاريخ 19 يناير 1975

"6"

نجحت التجربة !

نجحت في السفر الى العالم المواز بصحبة الهرة و عدت بها حية كما هي !

أعتقد أنني سأكرر التجربة على شيء أكبر..!

التقيت هناك بشبيهي مرة أخرى، الأستاذ مورتنسن..جون مورتنسن.

الرجل كان شديد العقلانية حتي تطرق الى الصفقة التي كان بصدد طرحها على.

الصفقة التي اقترحها هي أنه يريدني أن آخذ مكانه حينما يموت..

من شروط الصفقة ألا يعلم أحد بتلك الصفقة، حتي يظل حيًا في عينيّ ابنته الصغيرة.

لم نتفق بعد ماذا سنفعل في جثته حينما يموت، و لكنه اقترح شيئًا أشد غرابة !...

******

في مساء اليوم التالي التقي علم بسمير في موعد الغداء الرسمي.

– أبشر ! لقد نجحت التجربة !

– و أين هي ؟ أين الهرة ؟

– لا تخف إنها بمكان آمن، سأعطيها لك بعد أن نتناول الغداء.

– صحيح، أين تختفي ليلًا؟ لا أجدك بسريرك، ولا في العنبر بأكمله !

– شششش.

– كيف تغادر ليلًا و العنبر مغلق ؟

– سأخبرك لاحقًا، ستعرف غدًا

– كيف؟

– ستغادر معي، فقط استعد.

– و لما لا نغادر الليلة، أم أنك تعشق الجنة التي نعيش بها ؟

– كفاك سخرية، سنغادر ليلة غد، على فقط أن أري ابنتي للمرة الأخيرة، يجب أن أودعها.

– أنا لا أفهمك، ألن تخرج إليها ؟ لما تحتاج أن تودعها.

– سمير، المكان الذي نحن بصدد الذهاب إليه لن يكون به

أحد نعرفه، لن تكون هناك ابنتي، أو زوجتي، أختك، الأطباء هنا، أي شخص، يجب أن تعرف ذلك، و إذا كنت ستفتقد عالمنا فلا تأتي معي !

– عالمنا و هناك ؟ يا إلهي، ستقتلنا ؟ ستنتحر و تقتلني ؟ هل هذه هي خطتك ! لقد صرت مجنونًا بالفعل !

قالها سمير و هو ينهض ضاربًا كف بكف غير مصدقٍ ما يسمعه.

– اهدأ، ستفسد كل شيء أيها الأبله !

قالها علم و هو يمسك بكم المعطف الذي يرتديه سمير جاذبًا إياه ليجلس من جديد، نظر حوله متوجسًا ثم همس في أذنه قائلًا :

– سنسافر الى بُعدٍ آخر.

– بُعد آخر؟ أي هراء هذا الذي تقوله !

قالها سمير بنبرة أقرب الى الصياح.

– اخرس، ستتسبب في آذيتنا، اسمع، ببساطة أنا توصلت الى طريقة تمكنني من السفر الى بعدٍ آخر حينما أخلد الى النوم، انها بوابة من نوع ما، و كنت أريد أن أتأكد أنني يمكنني اصطحاب كائن حي معي.

– و لذلك طلبت الفأر ؟

– نعم، و جلبت لي أنت الهرة، و نجحت في السفر الى هناك بصحبتها وعدت بيها حية كما هي.

– علم، أقصد دكتور علم، هل أنت واثق أنك لا تحلم فقط ؟ تهلوس ربما ؟

– شككت في الأمر في البداية، و لكنني سجلت فيديو لنفسي و أنا نائم في إحدى المرات، أعني قبل أنا يتم إدخالي الى هنا.

– و ماذا حدث ؟

– اختفيت.

– هكذا ؟ ببساطة ؟

– هكذا، و أنت قلت بنفسك منذ قليل كيف أنني أختفي ليلًا برغم أن العنبر يكون مغلقًا.

– هذا صحيح، و لكن، هذا...هذا لا يصدق !

– أعرف، و لذلك أصبحت زميلك هنا في المستشفى، أخي و أختي لا يصدقان حرفًا مما أقوله.

– لا ألومهما !

حدجه علم بنظرة حادة مما جعلها يرتعد قائلًا :

– أعني أنت لم تقدم لهما دليلًا عمليًا واحد، صحيح ؟

– هذا صحيح. .المهم استعد، فغدًا سنغادر المستشفى سويًا، و لن نعود أبدًا. .

– أبدًا ؟

– أبدًا، فالبوابة ستغلق في خلال ثلاثة أيام بالتمام و الكمال حتي ألف سنة قادمة و أكثر.

******

في صباح اليوم التالي كان علم يجلس شاردًا في فناء المشفي حينما تهادى الى مسامعه صوت ابنته تناديه من خلفه:

- أبي ! أبي !

استدار ناهضًا ليجدها تركض ناحيته فجثا على ركبته يستقبلها حتي وصلت إليه فاحضتنها بقوة ثم انهال على يديها و وجهها تقبيلاً.

- بنيتي، اشتقت إليكِ كثيرًا، كيف حالك؟

- اشتقت إليك أيضًا، أنا بخير، و لكن ماذا حدث لك؟

قالتها ناظرةً الى العلامات التي تشوه وجهه، الهالات السوداء تحت عينيه، و شعره الذي صار جافًا عن المعتاد.

- لا تقلقي يا عزيزتي، إنها حادثة ليس أكثر.

- هل ضربك أحد المرضى؟

- يمكنك قول ذلك.

قالها مشيحًا بوجهه ناظرًا الى أحد الممرضين السائرين في الفناء.

- و لهذا أصبحت ترتدي مثلهم؟ لكي لا يضربونك؟

رفع علم حاجبيه لما سمعه من ابنته، أغمض عينيه ثم أسند جبهته الى صدرها ممسكًا بكتفيها في رقة، استل نفسًا عميقًا و كأنه يتنفسها هي ثم وضع قبلة على جبهتها قائلًا :

– مع من جئتِ؟

– أمي.

– أين هي؟

– هناك.

قالتها مشيرة بيديها الى نقطة بعيدة حيث تقف والدتها عاقدة ساعديها، لوحت لهما حينما نظر علم إليها.

– بنيتي، يجب على أن أتحدث مع والدتك ولكن أولًا يجب أن تعديني ببعض الأشياء.

– حسنًا يا أبي.

– أريدك أن تطيعي والدتك دائمًا، مهما حدث، هل تفهمين ؟

أومأت ناردين موافقة فاستطرد علم من جديد قائلًا:

– و أريدك أن تكوني متفوقة دائمًا، أريدك أن تجعليننى فخورًا بكِ دائمًا.

- لماذا تتحدث و كأنني لن أراك ثانيًا؟

نظر علم الى الأرض لا يعرف كيف يرد عليها ثم بلع ريقه بصعوبة و كأنه يبلع جمرة من نار.

- لأنني سأسافر بعيدًا.

- الى أين؟

- لا أستطيع أن أخبرك، ستغضب والدتك كثيرًا.

- هل ستذهب الى حيث ترتسم السماء بالأزرق الشفاف؟

اتسعت عينا علم دهشة ثم أجابها قائلًا :

- لا ينبغي عليكِ أن ترددي مثل تلك الأشياء و لكن نعم، سأذهب الى هناك.

قالها ثم نهض معدلًا من هندام ابتنه و شعرها قائلًا:

- و الآن، على أن أتحدث مع والدتك قليلًا، لا تخبريها بشيء، إنها لا تصدقني، لا أحد يصدقني.

أمسك بيد ابنته متجهًا الى زوجته السابقة ببطء، ثم ترك يد ابنته قبل أن يخبرها بألا تتحرك من موضعها ريثما يتحدث هو و والدتها قليلًا.

ابتعد قليلًا هو و زوجته عن ابنتيهما ثم وضع يديها في جيوب معطفه راسمًا خطوط عشوائية بمقدمة حذائه في التراب أسفله، مط شفتيه ثم تكلم أخيرًا :

– شكرًا لكِ.

– لا داعي.

– لا.. حقًا أشكركِ كثيرًا، كان يمكن ألا تحضريها.

قالها و هو مازال ينبش بمقدمة حذائه في التراب ثم أكمل من جديد :

– و أشكركِ أنكِ لم تخبريها...

– أخبرها بماذا ؟

– أن والدها....أنت تعرفين..

قالها و هو يرسم دوامات وهمية بجانب أذنه.

– تظنني مازلت طبيبًا هنا و لست مريضًا الآن.

– علم، كان يمكنك أن تتوقف عن كل ذلك، و مازالت لديك الفرصة حتي الآن.

– .....

– لديك عملك، أنا، ابنتك، مازال لديك كل شيء.

قالتها وقد سقطت من عينها اليمني دمعة حاربت هي كي لا تسقط.

– فات الأوان صدقيني، لم أعد كما كنت ولن أعود.

– علم اسمعني...أنا....

– اسمعيني أنتِ يا دنيا، أريدك أن تهتمي بناردين، كرسي حياتك لها، لا تدعيها تحتاج شيئًا...قبل أن يدخلني إخوتي هنا، قمت بنقل ثروتي و جميع ما أملك بإِسمها، فقط اتصلي بالأستاذ ربيع، محاميّ الخاص، أنت تعرفينه، اتصلي به و سيقوم بإِعطائك جميع الأوراق اللازمة.

– و أنت؟

– أنا سأغادر.

– الى أين.

لم يرد علم و إنما نظر الى السماء مستلًا نفس عميق ثم رد قائلًا:

– لن تعجبكِ إجابتي.

– أرجوك لا تقلها.

– أنت تعرفين الى أين سأذهب.

- لا، توقف عن ذلك.

قالتها و هي تهز رأسها وقد انتصرت الدموع متساقطةً من عينيها بجنون.

- يومًا ما ستصدقينني.

- لا فائدة، لا فائدة..

قالتها و هي تعود الى الوراء بظهرها متجهة الى ابنتها، أمسكت يدها ثم نظرت إليه قائلةً بلا صوت :

- تبًا لك يا علم.

تركت ناردين يدها راكضة نحو أبيها الذي انحني يقبلها محتضنًا إياها ثم تركها تركض عائدة الى والدتها، سارت خطوتين معها ثم استدارت قائلةً بصوت عالٍ :

- أبي، أنا أصدقك.

اخترقت الكلمات قلبه فلوح لها ملتاعًا حتي ابتعدت ثم استسلم للدموع التي تحرق عينيه متمتمًا بصوت خافت :

- يكفيني أنتِ.

******

*من مذكرات دكتور علم بتاريخ 21 يناير 1974

"7"

الليلة. . .الليلة سأغادر، أقصد سنغادر. .أنا و سمير. .الى هناك، حيث ترتسم السماء بالأزرق الشفاف. .الى الأبد. .

لا أعرف كيف سأعيش من دون ابنتي و لكن لكل شيء ثمن. .

فكرت في البداية أن آخذها معي، و لكن والدتها قد تموت من جراء ذلك قلقًا عليها، خاصة أنها ستظن أنني قتلتها أو شيء من هذا القبيل. .

أما عن اقتراح الأستاذ مورتنسن بشأن الصفقة. .

فكرت كثيرًا بشأن ذلك الاقتراح، و رفضته في البداية، و لكن لابد أن أعترف أنني بعد تفكير عميق وجدت أنه أنسب الحلول لمسألة جثته، و مسألة اختفائي. .

اقتراحه كان كالتالي. .

لن آخذ مكانه فقط، بل اقترح أن يأخذ هو مكاني أيضًا، ليموت هنا، لتمت هويتي مع موت جثته هو، لكي يستريح الجميع، أو ربما ليتم عقابهم أخيرًا على ما يفعلوه هنا في المشفي، بالإضافة الى ما سوف يحدثه اختفاء سمير. .

مورتنسن سيموت هو هنا كدكتور علم..و سأحيا أنا هناك كأستاذ مورتنسن..

آه، نسيت شيئًا أخيرًا، سأكون هناك في مدينة نيويورك، كم هي جميلة !

*****

في صباح اليوم التالي انطلقت صفارات الإنذار في أنحاء المشفى و تم إعلان حالة الطوارىء هناك.

- يا إلهي ! يا إلهي، سيقتلني الدكتور أمجد حينما يعرف !

قالها أحد الممرضين و هو يهرول في أحد ممرات المشفى حينما استوقفه ممرض آخر يسأله:

- ما الذي يحدث؟ لماذا انطلقت صفارات الإنذار؟

- مصيبة، مصيبة حلت علينا جميعا! بل مصيبتان !

- ما الذي حدث أخبرني يا عربي!؟

- أولًا، هرب سمير، اختفى ! اختفي تمامًا.

- يا إلهي، و ما هي المصيبة الثانية؟

- علم، دكتور علم يحتضر !

- يحتضر ! كيف؟

- لا أعلم..يبدو مريضًا أكثر من اللازم..لابد أنها العقاقير، أو الكهرباء، ربما نتيجة للضرب و السحل، لا أعلم، إنه يلفظ أنفاسه الأخيرة، و عائلته علمت، أشقاءه، زوجته السابقة و ابنته على وشك الوصول.

- أعتقد أنها نهايتنا.

- سنكون محظوظون إذا تم فصلنا فقط من المشفى، يا إلهي ها قد جاءت عائلته.

قالها عربي بصوت هامس محاولًا تحاشي نظرات عائلة دكتور علم القادمة باتجاهه.

- أين دكتور أمجد يا عربي !

قالها حاتم مقتربًا من الممرض الأول ممسكًا بتلابيبه بقوة.

- لم يأت بعد.

- اتصل به !

- حاضر، حاضر يا أستاذ حاتم.

- أقسم أنني سأجعلكم تدفعون الثمن !

قالها بنبرة يملؤها الغضب ثم مال على أذن الممرض و بصوت خافت أكمل قائلًا :

- قلت لكم أن تؤدبوه، لا أن تقتلوه، أيها الأغبياء !

- أنا لا أعرف ما الذي حدث، لقد كان بأفضل حال بالأمس، أنت بنفسك رأيته منذ بضعة أيام، كان...

- كان في حال سيئة ! أشبه بالزومبيز، أغبياء ! ....أريد أن أراه..

- و لكن...

لم يرد حاتم إلا بنظراته التي يملؤها الوعيد فاستطرد عربي قائلًا في خوف :

- حسنًا حسنًا ..من هنا ...

بعد قليل كانوا قد وصلوا جميعًا الى وجهتهم..

- ها هو دكتور علم، و لكنه لا يتحدث، كأنه في غيبوبة أو شيء ما...

- يا إلهي..

قالها حاتم و هو يقترب أكثر من السرير قائلًا للبنى :

– هل أنتِ مسرورة الآن؟

أشاحت لبنى بوجهها دون رد.

اقتربت ناردين، بنت الدكتور علم من السرير قائلة بعيون دامعة :

– أبي...أبي...استيقظ...لقد قلت أنك ستسافر..لم تقل أنك ستمت..أبي..

قالتها ضاغطةً على أحد أصابع يديه فأمسك هو بيديها في ضعف، فتح عينيه ببطء ناظرًا إليها بابتسامة ذابلة و كأنه يتعرف عليها للتو قائلًا:

– ناردين..

اتسعت ابتسامته ثم أغمض عينيه لترتخي يده التي تمسك بيدها و تذبل ابتسامته.

في نفس اللحظة سمعوا جميعًا صوت الصفير الذي ينطلق من الجهاز المتصل به ليعلن توقف قلبه تمامًا عن العمل، فصرخ حاتم ممسكًا بيده قائلًا:

– علم ...علم..لا تفعلها..أرجوك..علم ..علم !

أما لبنى فبعينين متسعتين تراجعت الى الوراء بظهرها، حتي

التصقت بالجدار و هي تهز رأسها محاولة أن تنفض ما يحدث أمامها من عقلها.

كانت دنيا تبكي في صمت ثم أمسكت بيد ناردين محاولة جذبها خارج الغرفة حينما نطقت ناردين:

- هذا ليس أبي..

توقف الجميع عما يفعلونه منتبهين إليها ثم مالت والدتها عليها قائلة في اهتمام :

- ماذا ؟ ماذا تقولين ؟ كيف !

- إنه فقط ليس أبي..

جثا حاتم على ركبتيه ممسكًا بكتفي ناردين قائلًا :

- كيف ؟ كيف تقولين أن ذلك ليس والدكِ؟

و بكل براءة الدنيا نظرت ناردين إليه قائلة :

- أبي لا يذكر اسمي أبدًا، فقط يقول بنيتي، أو عزيزتي..

التاع حاتم غير مصدق، ثم نظر الى زوجة علم و كأنه يحاول التأكد من صحة ما تقوله ناردين فأومأت له دنيا مؤكدة على صدق كلام ابنتها و هي تكمم فمها بيدها باكية في صمت.

– هذا لا يثبت شيئًا..لقد كان يحتضر، كيف تريدون منه ألا يكسر روتين أفعاله.

– هذا ليس أبي !

قالتها ناردين صارخة لأول مرة ثم أكملت :

– أبي سافر هناك..الى حيث ترتسم السماء بالأزرق الشفاف !

و بنظرة ساخرة الى السرير صفقت لبنى في بطء عدة مرات قائلة في جذل :

– برافو علم، برافو، لقد نقلت عدوى جنونك الى ابنتك الصغيرة، لن نتخلص أبدًا من ذلك الميراث اللعين الآن !

قالتها و هي تعدل من هندامها لتغادر الغرفة حينما اقتحم الغرفة ممرض آخر صارخًا :

– عربي، يريدونك بالطابق الأعلي، غرفة التحكم مغلقة من الداخل، و لا يستطيعون الدخول إليها !

اتسعت عينا ناردين قائلة في جذل :

– مازال هنا، لابد أنه بتلك الغرفة على وشك السفر الى هناك..

نظرت إليها لبنى في حيرة ثم غادرت الغرفة سائرة في أحد الممرات يتهادي الى مسامعها الحوار الدائر بين اثنين من الممرضين.

- ما الذي حدث ؟

- الدكتور علم توفى .

- كيف؟

- التعذيب .

قالها بصوت خافت نسبيًا .

- مما كان يعاني ؟

- الفصام..كان دائمًا ما يقول أنه يذهب الى عالم موازٍ، حيث السماء ترتسم بالأزرق الشفاف...و أن هناك شمس واحدة هناك و قمر واحد...أي جنون هذا؟ فسماء مدينتنا و سماء كل مدن العالم ترتسم بالأحمر القاني ! و لدينا شمسان و قمران !

و في الفترة الأخيرة أشيع أنه يقول أنه سيسافر الى مدينة نيويورك في العالم الموازي هناك و أنه سوف....

لم يكمل جملته حينما بدأت إحدى الأغاني في اللعب في مكبرات الصوت في أنحاء المشفى

كانت أغنية New York New York لفرانك سيناترا.

Start spreading the news

I am leaving today

I want to be a part of it

New York, New York

These vagabond shoes

are longing to stray

Right through the very heart of it

New York, New York

هرول ممرض ثالث بجانب الثلاثة، الممرضين و لبنى فاستوقفه أحد الممرضين قائلًا :

– ما هذا الذي يحدث !

– لا أعرف، لابد أن أحدهم عبث بمكبرات الصوت من داخل غرفة التحكم، لا نستطيع ايقافها.

– هل يعرف أحدكم تلك الأغنية ؟ لا أعتقد انها من هذا العالم..صحيح ؟

هز الممرضان الآخران رأسيهما نفيًا في حين اتسعت ابتسامة لبنى و هي تري و تسمع ما يحدث، ثبتت حقيبتها الى كتفها مغادرة الممر و على وجهها نفس الابتسامة قائلة بصوت مسموع :

– لقد فعلها، فعلها الوغد...

قالتها وهي تستمع الى الأغنية التي مازالت تلعب في الخلفية..

I want to wake up in a city

That never sleeps

And find I'm king of the hill

Top of the heap

These little town blues

are melting away

I gonna make a brand new start of it

In old New York

If I can make it there

I'll make it anywhere

It's up to you

New York, New York

قمت في 24 أكتوبر 2014
السابعة صباحًا

«سوليفان»

للمؤلف

عمر كمال الدين

«الفهرس»

- سوليفان «صفحة ٥»

– ماريونات «صفحة ١١»

– نصف رغيف حاف «صفحة ٥٣»

– طبشور ملون «صفحة ٥٨»

– بالازرق الشفاف «صفحة ٦٢»

****

« شكر خاص »

أحمد حسن
أيه مصطفي
حامد علي
روان وائل

في حالة وجود أي شكاوي من جودة طباعة الكتاب يرجي التواصل
معنا عبر صفحتنا الرسمية بال Facebook

" زيرو وان للنشر و التوزيع Zero one "

او عبر التليفون : 01090288777 - 01285829109

ZERO ONE PICTURES
Production solutions that make sense.

زيرو وان بيكتشيرز للتوزيع - مدينة نصر - القاهرة
تليفون : 01090288777
E.mail: Zeroonepictures@outlook.com:
Zeronepictures.com
website: www.zeronepictures.com

© جميعُ الحقوق محفوظة، وأى اقتباس أو إعادة طبع أو نشر فى أى صورة كانت ورقية أو الكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابى من الناشر؛ يعرض صاحبه للمساءلة القانونية .

محمد السحار
Mohamed El Sahhar